المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الملك سعود
كرسي القرآن الكريم وعلومه







# في لسانيات النص وتَحليل الخطاب
# نحو قراءة لسانية
# في البناء النصي للقرآن الكريم

بحث مقدَّم

للمؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

٦/٤/١٤٣٤هـ - ١٦/٢/٢٠١٣م

إعداد

أ.د. عبد الرحمن بودرع



# في لسانيات النص وتَحليل الخطاب
# نحو قراءة لسانية
# في البناء النصي للقرآن الكريم

بحث مقدَّم

للمؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

١٤٣٤/٤/٦هـ - ٢٠١٣/٢/١٦م

إعداد

أ.د. عبد الرحمن بودرع

بسم الله الرحمن الرحيم

# السيرة الذاتية

**الاسم: عبد الرحمن بودرع**

تاريخ الميلاد: ١٩٥٦ بالمغرب

مؤسسة التدريس الحالية: جامعة عبد المالك السعدي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تطوان، المغرب الإطار: أُستاذ التعليم العالي (أستاذ دكتور).

بريد إلكتروني: abderrahmane39@hotmail.com

## الشهاداتُ المُحَصلُ عليْها :

- دكتوراه الدولة في علوم اللغة سنة ١٩٩٩م، بميزة جيد جدا، من جامعة محمد الخامس بالرباط.
- دبلوم الدراسات العليا في علوم اللغة سنة ١٩٨٧م، بميزة جيد جدا من جامعة فاس
- دبلوم الدراسات المُعمقَة، في عُلوم اللغة، سنة ١٩٨١م، بميزة مستحسن، من جامعة فاس
- الإجازة في الآداب سنة ١٩٨٠م، بميزة مستحسن، من جامعة فاس

## مهام علميةٌ وتربويةٌ:

- رئيس فرقة البحث الأدبي والسيميائي.
- مُشرف على وحدة: لسانيات النص وتحليل الخطاب، في الدراسات العُلْيا (الماستر)

- منسق هيئَة الإشْراف على الدكتوراه في اللسانيات والترجمة والتواصل، بكلية آداب تطوان.

## الأنشطة العلمية

- المُشارَكَة في الندَوات والإعدادُ لَها: شارَك المعني بالأمر في ٥١ ندوةً وطنيةً ودوليةً ومُقابَلة تلفزية. ومنها:
- المشارَكَة في تأطير دورة تكوينية جامعية في موضوع: القرآن الكريم وخطابُه المتجدد بتاريخ: ١٦-٢١، أبريل ٢٠٠٧، من تنظيم المعهد العالَمي للفكر الإسلامي، والمدرسة العليا للأساتذة بتطوان والمركز المغربي للدراسات والأبحاث التربوية الإسلامية بتطوان/ المشاركة في جل الملتقيات السنوية للقرآن الكريم، التي ينظمها المجلس العلمي بمكناس/المغرب.
- المشاركة في أشغال مؤتمرات وطنية ومغاربية في "الإعجاز العلمي للقرآن والسنة" الذي تنُظمه الجامعة والمجالس العلمية لشمال المغرب/ المُشارَكَة في الندوة الدولية "الصحابةُ الكرام في التراث المغربي الأندلسي" التي نظمَتها الرابطة المحمدية لعلماء المغرب، بطنجة يومي صفر ١٤٣١هـ/ فبراير ٢٠١٠م، بموضوع : « منهج عُلَماء الأندلُس في الترجَمَة للصحابَة وتَحقيق مَواقفهم، ابنُ عَبْد البَر القُرطبي والقاضي أبو بَكْر المَعافري، أنموذجَيْن »/ - ندوة الحج الكُبْرى لسنة ١٤٣١هـ في محور: التوعية في الحج، التي نظمتها وزارة الحج السعودية وكان موضوعي الذي شاركْتُ به: "التوعية في الحَج، عوائقُها العامة وسُبُل حلها./المشارَكَة في المؤتمر الأول للمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات بالدوحة في موضوع اللغة والهوية ١٤٢٣/٢٠١٢ .

**الكتب والمؤلفات:**

- الأَسَاس الْمَعْرفي للغَويات الْعَرَبية، نادي الكتاب لكلية الآداب بتطوان، الطبعة الأولى، مارس ٢٠٠٠، الطوبريس طنجة، المغرب.
- اللغة وبناء الذات ( تأليف جماعي )، منشورات كتاب الأمة، وزارة الأوقاف القطرية، العدد ١٠١، السنة ٢٤، جمادى الأولى ١٤٢٥ هـ، يونيو / يوليو ٢٠٠٤ م .
- جوامع الكلم في البيان النبوي، نشر مكتبة سلمى، مطبعة الخليج العربي، تطوان، المغرب، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م
- من ظواهر الأشباه والنظائر بين اللغويات العربية والدرس اللساني المعاصر، منشورات حَوْليات الآداب والعُلوم الاجتماعية، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، الحولية : ٢٥، الرسالَة : ٢٢٧، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م
- مَنْهَجُ السياق في فَهْم النص القُرآني والحَديثي: مَنْشورات كتاب الأمة، وزارة الأوقاف القَطَرية، العدد:١١١، السنة:٢٦، ط ١، المحرم ١٤٢٧هـ، فبراير ٢٠٠٦م .
- من قَضايا النظَرية اللغوية العربية، منشورات حَوْليات الآداب والعُلوم الاجتماعية، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، الحولية رقم:٢٨، الرسالَة رقم:٢٦٧، السنة: ١٤٢٨هـ- سبتمبر٢٠٠٧م
- المنتقى من فَصيح الألفاظ للمعاني المُتَداوَلَة، منشورات كلية الآداب [جامعة عبد المالك السعدي]، مطبعة الخليج العربي، تطوان - المغرب، ط ١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م

- الإيجاز وبَلاغَةُ الإشارَة في البيان النبوي، مطبعة الخليج العربي، تطوان، المغرب، ط ١، ذو الحجة ١٤٣٠هـ - دجنبر٢٠٠٩م .
- مكانة مكةَ والمُجاورَةُ فيها في كتابات العُلَماء، مطبعة الخليج العربي، تطوان، المغرب، ط ١، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م .
- إتحافُ الناظر بنُفاضَة الضمائر وعُصارَة الخَواطر، منشورات جامعة عبد المالك السعدي/كلية الآداب/تطوان/المغرب، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م
- الأسس المعرفية للغويات العربية، ط.دار ورد للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠١٢م.
- ويوجَدُ قيْدَ الطبْع كتابُ: الخطاب القُرآني ومَناهج التأويل. نَحوَ دراسَة نَقدية للتأويلات المُعاصرَة، نَشْر الرابطَة المحمدية للعُلَماء بالمغرب.
- يوجد أيضاً قيد الطبع: في الرحلة الحجازية، مط. الطوبريس، طنجة المغرب

## مَقالاتٌ علمية في مَجلات محكمَة وعامة وطنية ودولية :

٣٤ مقالةً: ومنها :

- أثر السياق في فهم النص القرآني مجلة الإحياء، التابعة للرابطة المحمدية للعلماء، ع:٢٥، جمادى٢، ١٤٢٨هـ، يوليوز٢٠٠٧م/القُرآن الكَريم، بين خصوص اللسان وعموم الرسالة ، مقال نشر في كتاب جَماعي عُنوانُه "رسالَة القُرآن"، بمناسبَة الاحتفال بإنجاز مُصحَف قَطر وبَدْء تَداوُله، من إعداد إدارة البُحوث والدراسات الإسلامية، وزارَة الأوقاف، الدوحَة، قَطَر، ط ١، ربيع الأول ١٤٣١هـ، فبراير ٢٠١٠م / القُرآن الكريم ومناهجُ الدرس الحديث، منهج السياق البياني أنموذجاً، مقال نُشرَ في مجلة الهُدى، وهي مجلة

سنويةٌ يُصدرُها المجلسُ العلمي لطنجة، ع:٢، محرم ١٤٣٢هـ/٢٠١٠م / التوعيةُ في الحج: عَوائقُها العامةُ وسُبُلُ حَلها، وهذا نص المُشارَكَة التي شاركتُ بها في ندوة الحج الكبرى بمكة المُكرمَة، وقد نُشرَت المُداخلَةُ في كتاب: التوعية في الحج، مط. السروات بجدة، ط ١، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م

## العضوية في لجان المؤتمرات والندوات :

عضو اللجنة العلمية للمؤتمرات المغاربية والدولية في "الإعجاز العلمي للقرآن والسنة" الذي نُظم بكلية العلوم بتطوان، بتعاون بين الكلية والجامعة والمجالس العلمية لشمال المغرب، للسنوات: ٢٠٠٥ – ٢٠٠٧ – ٢٠١٠م على التوالي

## جوائز، وتكريم ....: جائزة البحث العلمي :

- الحصول على جائزة الشرف المتميز تكريما، وتقديرا للعطاء العلمي داخل الجامعة، الجهَة المانحَة: رئاسَة جامعة عبد المالك السعدي، تطوان، المغرب، ثلاث جَوائز عن السنوات: ٢٠٠٩-٢٠١٠-٢٠١١، على التوالي.

## ملخص البحث

يقومُ البحثُ على فكرة منهجية وهي استنطاقُ أحدَث مَناهج علم النص وهو "لسانياتُ النص وتَحليلُ الخطاب"، بخصوص ما يُمكنُ أن تُقدمَه من جَديد في تحليل النص واستكشاف بنياته الداخلية والوُقوف على بَلاغَة تَماسُكه وجَماليات انسجام عناصره، والوُقوف على مَعانيه الكلية التي لا يَقْوى نحوُ الجُمل على استكشافها وبيانها.

ويُحاولُ البحثُ لتحقيق الغرض المُشار إليه، أن ينظُرُ إلى نُصوص القرآن الكَريم في ضوء تصورات علم لُغَة النص ومناهجه وأدواته، وليُمحصَ مَدى قُدرة المنهج على كشف بنية النص ودلالاته الكلية ووظيفته التي تُوافقُ مقاصدَ واضعه.

ومن المَعلوم أن النص القُرآني تَناوَلَه بالبَحْث والتفسير والتأويل عُلماءُ الفقه والأصول والتفسير والبَلاغة، ولكن كان لعُلماءَ "عُلوم القُرآن" النصيبُ الأوفر في مقاربة النص القُرآني، وذلك بتوظيف كثير من العُلوم والآليات والأدَوات التي تُحيطُ بالنص الكَريم، من جَوانبَ متعددَة وتستكشفُ قيمَه الدلاليةَ وجوانبَه الجَماليةَ وعلاقاته الكليةَ، فكان هذا العلمُ مُؤهلاً لأن يكونَ أقربَ إلى النهج الذي نهَجَته لسانياتُ النص وتحليل الخطاب.

وسيتعرضُ البحثُ لتعريف المُصطلَحات المتعلقَة بلسانيات النص وتحليل الخطاب (نص، خطاب، لسانيات النص، تَحليل الخطاب) وينتقي من بعض المصادر التي ألفَت في علوم القُرآن ما يَتناسَبُ والمنهَج اللساني النصي، من مَفاهيمَ وأدوات، لبناء مُقاربة نصية متكاملة تُثبتُ مَدى التقارُب والالتقاء بين كثير من الأنظار اللغوية العربية القَديمَة والمَفاهيم اللسانية

الحديثَة، وذلكَ لأن "مناهجَ التحليل اللساني" تُعد قاعدةً كُبرى من قَواعد المعرفَة، وأساساً مَكيناً من أسُس استكشاف أعماق النص ودلالاته البادِيَة والخَفية.

## المقدمة

يعرض هذا البحثُ لتَطْبيق قَواعدَ وَنَظَرات منْ لسانيات النص وتَحْليل الخطاب، عَلى نُصوص من القُرآن الكَريم من خلال رؤيَة عُلماء القُرآن وبلاغييه القُدَماء، وذلك لإخراج المعرفة اللغوية من إطارها النظري المسطور في مُصَنفات النحو واللغة والبلاغة إلى ميدان التطبيق على نُصوص بَليغَة لَها قيمَةٌ عَمَليةٌ وقُوةٌ إنْجازيةٌ عاليةٌ.

ومن أجل ذلكَ فقَد عمدَ البحثُ إلى استنطاق أحدَث مَناهج اللسانيات وهو "لسانياتُ النص وتَحليلُ الخطاب"، بخصوص ما يُمكنُ أن تُقدمَه من جَديد في تحليل النص واستكشاف بنياته الداخلية والوُقوف على بلاغة تماسكه وجماليات انسجام عناصره، والوقوف على معانيه الكلية التي لا يَقْوى نحوُ الجُمل وحدَه على استكشافها وبيانها. وذلكَ لما وُصفَت به هذه المَناهجُ اللسانيةُ النصيةُ من اكتشاف بعض خُصوصيات النصوص، فلَم يعُد الاهتمامُ في تحليل النص مَحصوراً في البَحث في الأصوات والمُفْرَدات المُعجمية والتراكيب والجُمَل، ولكنه جاوزَ ذلكَ إلى اقْتحام مُستوىً أكبرَ هو البنيةُ العامةُ للنص، وتكمُنُ أهميةُ مَنْهج تحليل هذا المستوى الأكبر، في أنه يُقدمُ مَعاييرَ "العلمية" و"المَوضوعية" في الدراسة؛ لأنه ينبثقُ من الموضوع المَدْروس؛ وهذا لا يتوفرُ إلا إذا كانَ المنهَجُ نفسُه نصياً، أي إذا كانَ المنهجُ من جنس الموضوع ومن مادته، وفي ذلكَ نوعٌ من التفاعُل المعرفي بين المنهج والنص، فالنص يحكُمُ على المنهج بالانفتاح والحَركية والاستجابَة الموضوعية لَه. وفي

ذلكَ أيضاً إثْباتٌ لسيادة النص وهيمَنَته على المَنْهَج القارئ وأداة القراءَة ومُصطَلح الوَصْف والتفسير.

ميزةُ "نحو النص" أو "لسانيات النص" أو "علم النص"، في أنه أفادَ من نحو الجُملَة، مَبْنىً ومَعْنىً، ومن الدراسات الأسلوبية، ومن المناهج والمَعارف السابقَة، ولكنه أضافَ إلى تلك المناهج ما يُثبتُ نصيةَ النص وبلاغة الخطاب، من غير أن يقتصرَ على المناهج التي كانَت تُجزئ النص ثُم تقفُ عندَ الأجزاء فقط، فكُل ما ساعَدَ على تَصور النص كياناً لغوياً متعددَ المُستويات، مُكوناً من أجزاء مُترابطة، أو أنظمة مُتشابكة. فإنشاءُ علم للنصوص هو المَنهجُ الأنْسَبُ للخطاب المَدْروس؛ لأنه مَنهجٌ يستمد مادتَه وقَوانينَه ومَفاهيمَه من تشابُك الأنظمة. وما ذلكَ إلا لأن النص نظامٌ واقعي فَعالٌ، «على حين نَجدُ الجُمَلَ عناصرَ من نظام افتراضي... والجُملةُ كيانٌ "قَواعدي" خالصٌ يتحددُ على مُستوى النحو فَحَسب، أما النص فحقه أن يعرف تبعا للمعايير الكاملة للنصية Textuality»[(١)]، ومنها سياقُ الموقف أو دَوافع المَوْقف (Contextual motivation) [(٢)].

---

(١) روبرْت دي بوجْرانْد، **النص والخطابُ والإجْراء**، ترجمَة تَمام حَسان، عالَم الكُتُب، القاهرَة، ط.٢، ٢٠٠٧م، ص:٨٩-٩٠.

(٢) أوْرَدَ روبيرت دبي بوجْرانْد **المَعاييرَ السبْعَةَ** التي تَجعَلُ من النص نَصاً وأساساً لإنتاج النصوص واستعْمالها، وهي **السبْكُ** (أو الترابُطُ انحوي)، **والالْتحامُ** (أو الترابُط المَفْهومي والمَعْنَوي)، **والقَصدُ** (قصدُ المتكلم إيصالَ رسالة إلى المُخاطَب)، **والقَبول** (قَبول المُخاطَب للنص من حيثُ هو كيانٌ مُنسبكٌ مُتَلاحمٌ)، **ورعايَة المَوْقف** (ويتضمنُ العَواملَ التي تجعلُ النص مرتبطاً بموقف سائد)، **والتناص** (ويَتضمنُ العَلاقات بين نص ما ونُصوص أخْرى مرتبطة به)، **والإعْلامية** (الإخْبار). انظُرْ: **النص والخطابُ والإجْراء**، ص:١٠٣-١٠٥.

وينبَغي للنص «أن يتصلَ بموقف يَكونُ فيه، تَتَفاعلُ فيه مَجموعةٌ من المُرتكَزات والتوقعات والمَعارف، وهذه البيئةُ الشاسعَةُ تُسَمى سياقَ المَوْقف Context، أما التركيبُ الداخلي للنص فهو سياقُ البنيَة Co-text .

ولكن صلةَ علم لُغة النص بالدراسات اللسانية الحَديثَة لا يَعْني أنه وُلدَ في كَنفها حَصراً؛ فهو - أولاً وقَبْلَ كل شيْء- علمُ الطبْع والتذوق للعربية، ولهذا فلا يُقتَصَرُ على علم لغة النص في نُسخته الأعجمية من أجل تَحليل النص العَربي البَليغ؛ لأنه لا يَقودُ بالضرورَة إلى فَهم أسرار النص إلا على وَجه الاسْتئناس المنهجي دونَ العلم بكُنه النص في أصله العربي المُبين. أما تَحليلُ النص في العُلوم العربية والإسْلامية فقَد داخَلَ كل فروع المعرفة. فعلم النحو في مَقاصده تحليلٌ للنص في مرحلة أولى من مَراحله لا تستقل بنفْسها؛ وهو في هذه المرحلَة نَظَرٌ في العلاقات والروابط بين الكَلمات، للوقوف على بنية الكلام ونَظمه، ويستعينُ به الفُقهاءُ وعُلماءُ الدراية والمُفسرونَ والنقادُ لضبط دلالات النص ومَقاصده، فإذا غابَت العلاقاتُ والروابطُ تفككَ النص وداخَلَه الغُموضُ والاضْطرابُ وفَقَد شُروطَ البناء اللغوي. أما البَلاغَةُ فهي أدخَلُ عُلوم الآلَة في تَحليل النص؛ لأن «كُل مُفردات هذا العلم في صَميم علم تحليل النص، ابتداء من مقدمة الفصاحة والبلاغة، وانتهاء بأصغر فن بَديعي، كل هذا وسائلُ وأدواتٌ تُعينُ على استكشاف جوهَر النص... واعلمْ أن كل نظر في المَباني لا غايةَ له إلا النفاذ إلى المَعاني»[1]، وليسَت

(١) محمد محمد أبو موسى، **قراءَة في الأدب القَديم**، نَشر مَكْتَبَة وَهْبَة، القاهرَة، ط.٣، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ص:١٤.

عُلومُ الآلَة التي هي في الحقيقة أدواتٌ وتقنياتٌ لتحليل النصوص، إلا كيفيات وأحوالاً وأوعيةً دَقيقةً تحملُ مَعاني النص وعَوالمَه. وتدخلُ في هذه الكيفيات والأحوال[1] والهَيْئات البَلاغةُ القُرآنيةُ التي هي الطريقةُ العاليةُ في العبارَة عن المَقاصد.

بناءً على المَنْهج المُشار إليه أعلاه، يركنُ الباحثونَ إلى تَحليل الخطاب بمنهج نَصي واقعي يستندُ إلى سياق الموقف وبساط الحال ومرجعية النص، ويقفونَ عندَ الإعْراب ثُم يتجاوَزونَه بذلكَ ولا يلتزمونَ به وحدَه؛ لأن منهجَ صناعة الإعراب وحدَه قاصرٌ عن التحقيق، ولا يلزَمونَ منهَجَ التحليل بالجُمَل؛ لأن الجُملَ كيانٌ لغوي مَحْدودٌ، وفيه الممكنُ وفيه المُفتَرَضُ؛ إذ يُمكنُ تصورُ جُمل مُتكلفة، إما لكونها أطوَلَ أو أعقدَ أو أكثرَ تَوابعَ أو أكثرَ ابْتذالاً مما يُمكنُ قَبولُه، أو لكونها فارغةً من المَعْنى، أو غيرَ ذات أثر عَمَلي في الأداء... ولذلكَ فتحليل الخطاب بنحو الجمل يبتعدُ بالنص عن سياقه الواقعي وأبعاده التداولية ويركنُ به في زاوية التجريد والشكلانية.

وسيُحاولُ هذا البحثُ لتحقيق الغَرض المُشار إليه، أن يَستدعيَ بعضَ "المُعالجات النصية" العربية القَديمَة المتفرقَة، للقُرآن الكَريم، ويجمَع بينَها في بناء عام لإعادَة قراءَتها في ضوء تصورات علم لُغَة النص الحديث

(١) عبارَةُ **الكيفيات والأحوال**، أورَدَها ابنُ خلدون في المُقدمَة، في الفصل السادس والأربعين: فصل في أن اللغةَ مَلَكةٌ صناعيةٌ. (**مُقدمَة ابن خَلْدون**، دار الكُتُب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م)

ومناهجه وأدواته، وليُمحص مَدى قُدرة تلك المُعالجات النصية القَديمَة على كشف بنية النص ودلالاته الكلية ووظيفته التي تُوافقُ مقاصدَ واضعه، ولكن من غَيْر اعْتقاد بأن مَعاييرَ عُلماء النص المُحْدَثينَ صالحةٌ مُطلَقاً لتَحليل النص القُرآني؛ إذ إن تلكَ المَعاييرَ الجُزئيةَ الحَديثةَ إنما استخرجَت في الأصل من نُصوص مَحدودة مُقيدة بقُيود الزمان والمَكان والظروف المُحيطَة والأخْطاء البشرية. وإنما الشأنُ في ذلك بتَصحيح ما يَعْتري المَعاييرَ الحَديثَةَ من نَقص، وتَسْديده بما استنْبطَه عُلَماءُ البَلاغَة والتفسير وعُلماءُ عُلوم القُرآن الكَريم، من النص القُرآني، من مَعاييرَ نصية وافية. فنحصُلُ، من اتحاد عُلوم النص العربية وعلم لُغة النص الحَديث على علم موحد يكشفُ غَوامضَ النصوص ويفك رُموزَها ويستكنهُ أسْرارَها، فلا بد أن يأخذَ العلمُ القَديمُ بيد العلم الحَديث، ليزدهرَ المنهجُ النصي ويتَطورَ وتتفتحَ أمامَه أبوابُ التحليل، فلا يغرقَ النص في لُجج العُجمة فتمحي مَعالمُه.

❋ ❋ ❋

ومن المَعلوم أن النص القُرآني تَناوَلَه بالبَحْث والتفسير والتأويل علماء الفقه والأصول والتفسير والبَلاغة والنحْو[1]، ولكن عُلماءَ "عُلوم

---

(١) وإلى ذلكَ أشار د.تَمام حَسان، عندَما بينَ أن فَهمَ النص القُرآني الفهمَ الصحيحَ لا يحصُلُ إلا: «في نطاق ما **أنشأه عُلَماءُ العربية واللغة والبَلاغَة وغيْرها من مَناهجَ وطُرُق للبَحث**. وإذا الْتزَمَ الباحثُ بجُهود العُلَماء السابقينَ...فلا بُد أن يَتَناوَلَ النص القُرآني الكَريمَ **بمُصطلَح هؤلاء العُلَماء**؛ لأنه لا يَسْتطيعُ أن يستخْرجَ حَقائقَ التحليل العلمي إلا بواسطة المُصطلَحات المَذْكورَة». انظُرْ: تمام حَسان:
==

القُرآن" والمُفسرينَ البلاغيينَ للقُرآن الكَريم، كان لهم النصيبُ الأوْفرُ في مُقارَبَة النص القُرآني، وذلك بتوظيف كثير من العُلوم والآليات والأدَوات التي تُحيطُ بالنص الكَريم، من جَوانبَ متعددَة وتستكشفُ قيمَه الدلاليةَ وجوانبَه الجَماليةَ وعلاقاته الكليةَ، فكان هذا العلمُ مُؤهلاً لأن يكونَ أقربَ إلى النهج الذي نهَجَته لسانياتُ النص وتحليل الخطاب، وهو صالحٌ لأن يُصاغَ منه أنموذَجٌ تحليلي يستخْرجُ أعماقَ النص ويكشفُ قيَمَه الجَماليةَ، بَل ليُكْتَشَفَ به مَزيدٌ من المَزايا الجَمالية التي تنطوي عليْها اللغةُ العربيةُ ذاتُها.

## المُصْطَلَح:

وسيتعرضُ البحثُ لتعريف المُصطلَحات المتعلقَة بلسانيات النص وتحليل الخطاب (نص، خطاب، لسانيات النص، تَحليل الخطاب) وينتقي من بعض المصادر التي ألفَت في علوم القُرآن ما يَتناسَبُ والمنهَجَ اللساني النصي، من مَفاهيمَ وأدوات، لبناء مُقاربة نصية متكاملة تُثبتُ مَدى التقارُب والالتقاء بين كثير من الأنظار اللغوية العربية القَديمَة والمَفاهيم اللسانية الحديثَة، وذلكَ لأن "مناهجَ التحليل اللساني" تُعد قاعدة كبرى من قواعد المعرفة، وأساساً مَكيناً من أسُس استكشاف أعماق النص ودلالاته الباديَة والخَفية.

==

**مَفاهيمُ ومَواقفُ في اللغة والقُرآن**، عالَم الكُتُب، القاهرَة، ط ١، ٢٠١٠، ص: ٢٧٤.

مُصطلَح "النص" لَه دلالاتٌ، تتَفاوتُ بينَ العُموم والخُصوص، فهو عندَ عُلَماء الأصول نوعٌ من أنواع دلالة اللفظ عَلى مَعْناه، والأصلُ فيه أنه مَصدرٌ للفعلِ نص ينُص بمَعنى الرفع والإظهار والإسْناد، ونَص القُرآن ونص السنة أي ما دل ظاهر لَفظهما عَليه من الأحْكام.

أما عندَ المحدَثينَ فالنص النسيجُ العام الذي يتألفُ من خُيوط متناسقة عَلى هيئة مَخصوصة، ويتعدى الجملةَ باعتباره سلسلةً من الجُمَل يضبطُها مَبدآن: مبدأ الوحدَة ومبدَأ الاتساق والتناسُق. وقد استُعملَ مُصطلحُ النص في الأدبيات اللسانية تارةً مُرادفاً للخطاب (بوصف الخطاب نصاً وظروفَ إنتاج)، وتارةً بوَصْفه سلسلةً جمليةً مُجردَةً معزولةً عن ظروف إنتاجها[1]. فالتعريفاتُ التي ورَدَ عليْها النص حديثاً، كثيرةٌ ومختلفةٌ[2]؛ فبعضُها يقصرُ النص على المُنجَز كتابةً، وبعضٌ آخَر يجمعُ في تعريف النص بين المَكْتوب والمَلْفوظ، ومنها ما يُراعي في التعريف جانبَ الوظيفة التواصلية، ومنها ما يهتم بعنصر التتابُع بين ألفاظ النص، ومنها ما يركزُ على الوظيفة الدلالية للنص[3].

---

(١) يُنظرُ في الفرق بين النص والخطاب: أحمد المتوكل: **الخطاب وخَصائص اللغَة العربية، دراسَة في الوَظيفَة والبنية والنمَط**، الدار العربية للعُلوم ناشرون لبنان، منشورات الاختلاف الجزائر، دار الأمان الرباط، ط ١، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م، ص:٢١-٢٢.

(٢) يُنظرُ في إشكال كثرة التعريفات واخْتلافها: محمود حسَن الجاسم: **مَفْهوم النص في العربية بينَ القَديم والحَديث**، مجلة جذور، النادي الأدبي الثقافي بجدة، ع:٣١، جمادى الأولى ١٤٣٢هـ/أبريل ٢٠١٠م، ص:٤٥-٦٤.

(٣) يُنظرُ في الفُروق بين تعريفات الباحثينَ للنص: سعيد حسن بحيري: **علم لغة**
==

وسيسْتخدمُ هذا البحثُ مصطلَحَ النص بمعْناه الحديث لما فيه من الشمول والعُموم، ولما فيه من مُراعاة الخَصائص الرئيسَة التي لا يكادُ يَخلو منها نص من النصوص.

أما مُصطلَح "الخطاب" فيُشارُ به إلى كيان لغوي يتعدى الجملةَ من حيثُ الحجم، ويُلابسُ خصائصَ غيرَ لغوية، دلالية وتداولية وسياقية، ويندرج في حيز الإنجاز أكثر من اندراجه في حيز القُدرة اللغوية، ويُتخَذُ موضوعاً لدرس لساني منفصل يُدعى بلسانيات الخطاب أو تحليل الخطاب في مُقابل لسانيات الجُملة. فيدخُلُ في الخطاب الكَلامُ والمُتكلمُ وبيئةُ التنزيل وسياقُه وأساليبُ التخاطُب. والخطابُ القُرآني يتوجه إلى وعي المُخاطب لتغيير شأنه وحاله والتأثير فيه وإقناعه بالمضْمون الجَديد والرسالة الجَديدَة، ويَمتازُ الخطابُ القُرآني عن الخطاب البَشري، في أنه خطابٌ رباني مُتَعال يحملُ وَحْياً وإعجازاً وقُدسيةَ نص يُتعبدُ به.

❋ ❋ ❋

==

**النص**، وإبراهيم خليل: **في نظرية الأدب وعلم النص**، والأزهر الزناد: **نسيج النص**، وصَلاح فَضْل: **بَلاغة الخطاب وعلم النص**، وأحْمَد عَفيفي: **نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي**...

# مَنهجُ لسانيات النص وتَحليل الخطاب

## تحولُ الأنساق المعرفية:

لقَد اقْتَضى تَحول الأنْساق المعرفية[1] وتطورُها وحركيتُها الانتقالَ من نحو الجُملَة إلى علم لُغَة النص أو لسانيات النص، ومن النظرَة الجُزئية للخطاب وما يُرافقُ ذلك من هيْمَنَة الوُقوف عندَ حُدود الكلمة المُفرَدَة والحالَة المُبْتسَرة إلى النظرَة الكلية الشاملة للنص المكتوب والخطاب المُنجَز، وإلى التحليل النقدي للخطاب، وأصبحَ تَجاوُزُ الجُزئي إلى الكُلي طريقةً في التناوُل ومنهجاً في التحليل، وسمةً من سمات الفكر والثقافَة في هذا العصر، يكشفُ الأدبَ بأجناسه وإبداعاته ونُصوصه، ويُبرهنُ على نصيته وكليته وتَناسُق أجزائه وانْسجامها. فقَد أحرزَت اللسانياتُ النصيةُ وتحليلُ الخطاب والأسلوبيةُ والشعريةُ الحَديثَةُ والتحليلُ التداوُلي للخطاب تقدماً معرفياً ومنهجياً؛ إذ أتاحَ للباحثينَ والقُراء أن يقفوا في النص المَدْروس على عناصرَ وخَصائصَ وعلاقات لم يكن بوُسعهم الوُقوف عليْها بنحو الجُملَة أو لسانيات الجُملَة.

لسانيات النص تُؤدي إلى اكتشاف بلاغَة الخطاب والوُقوف على جمالياته وقيَمه البَلاغية المُتجددة، التي لا يَقْوى نَحوُ الجُمل المَحْدودُ

(١) في مسألة تحول الأنساق المعرفية يُرجَعُ إلى: صلاح فضل: **بَلاغة الخطاب وعلم النص**، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالَمية للنش-لونجمان، ط ١، ١٩٩٦م. ص:٢-٦، ص:٧-١٣.

على استخْراجها، وأتاحَت لسانياتُ النص الانفتاحَ على مجالات معرفية وثَقافية مُختلفة، ولم تَعُد دراسةُ اللغَة منحصرةً في دائرَة الأصوات والتركيب؛ ولكنها في ظل لسانيات النص وتَحليل الخطاب انفَتَحَت على الأنساق المعرفية؛ لأن اللغات الإنسانيةَ تمثلُ مرتكَزاً رئيساً للثقافَة ومرآةً حقيقيةً لها(١).

## النسقُ والبنيَةُ، في دراسة النص

يَبْدو أن الاتجاهَ النسَقي في التفكير العلمي، يَميلُ إلى تَحليل النص بَدلاً من الجملَة والعبارَة في ذاتها، ويَميلُ إلى البَحث عن العلل والأسرار وَراءَ الألفاظ والظواهر(٢). وقَد صرحَ حازمٌ القرطاجني بشيْء من هذه المَلامح المنهجية في الصناعَة البَلاغية؛ إذْ قالَ: «فإني رأيتُ الناسَ لم يتَكلموا إلا في بعض ظَواهر ما اشتمَلَت عليه تلك الصناعَةُ، فتَجاوزْتُ أنا

---

(١) في عَلاقَة اللسانيات بالثقافَة والمعْرفَة وأهمية البُعد الثقافي في البَحْث اللساني، يُنظَرُ: عبد الفَتاح أحْمَد يوسُف، **لسانياتُ الخطاب وأنْساق الثقافَة**، الدار العربية للعُلوم ناشرون بيروت، مَنْشورات الاخْتلاف الجَزائر، ط ١، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م، ص:٩-٢٨.

(٢) أشارَ الباحثُ البلاغي محمد العُمَري في كتابه: **البَلاغة العربية**، إلى أن الاتجاه النسقي في منهَج عُلَماء اللغة والبلاغَة والنحو تَجلى في التوجه نَحو التأليف في الأسْرار، نحو: سر صناعَة الإعْراب لابن جني وسر الفَصاحَة لابن سان الخَفاجي وأسْرار البَلاغَة لعَبْد القاهر الجُرجاني، والأصول، ككُتب أصول الفقه وأصول النحو وغيْرها.

يُنظَرُ: محمد العُمَري: **البَلاغةُ العربيةُ، أصولُها وامْتداداتُها**، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط ١، ١٩٩٩م، ص:١٣.

تلكَ الظواهرَ بعدَ التكلم في جُمل مُقنعة مما تعلقَ بها إلى التكلم في كَثير من خَفايا هذه الصناعة ودَقائقها...»[1] .

وعليْه، فإن العنايةَ بالنسَق والنظام والعَلاقات التي تربطُ أجزاءَ النص بعضَها ببعض، ليسَت وليدةَ هذا العصر، عصر اللسانيات والعُلوم الإنسانية، ولكنها وُجدَت من قَبلُ في اهتمامات عُلَماء التفسير وعُلوم القُرآن، المنهجية وفي طرُق تَناوُلهم للنص القُرآني. فَجاءَت عُلومُ القُرآن بوصفها آليات معرفيةً وُضعَت في الأصل لإعادَة إنتاج النصوص في التراث وقراءَة تلكَ النصوص بها، وهي آلياتٌ مُتَكاملةٌ مُتفاعلةٌ لا تعرفُ الحُدودَ الفاصلَةَ بينها.

* * *

## لماذا النص القُرآني بالذات؟

ولماذا نَصيةُ القُرآن؟ الجَوابُ القريبُ: أن النص القُرآني عمادُ الحَضارة الإسلامية، ومُؤسسُها، أما التأويلاتُ المُعاصرَةُ التي تَحومُ حولَ القُرآن الكَريم ولا تقرَبُ النص، فَلا تُتخذُ بالضرورة منهجاً لقراءة النص القُرآني؛ لأنها لا تتمتع بمرجعية شَرعية تُبوئُها المَقْعَدَ اللائقَ في تَفسير دلالات النص وتأويله، إلا بالقدر الذي تلتزمُ بخُصوصية هذا النص، وتُوظفُ المناهجَ الحديثَةَ بما يَسْمَحُ لَها بمُلامسَة المَقاصد التي يُصرحُ بها النص ويقومُ عليْها.

---

(١) حازم القرطاجني: **منْهاج البُلَغاء وسراج الأدباء**، تَحقيق محمد الحَبيب ابن الخوجَة، دار الغرب الإسْلامي، بيروت، ص:١٨.

وقدْ تعرضَ النص القُرآني لحَمْلَة تأويلية[1] واسعة من قبَل المذاهب والفرَق والاتجاهات المُختلفَة منذ القَديم، ووَصلَ الاختلافُ بينَها في هذا الأمر إلى دَرجة التعارُض والانقسام، ويعودُ هذا الاختلافُ في جُزء كَبير منه إلى اختلاف في مَنهج فَهم النص والآليات المُعتمَدَة، وهي آلياتٌ جاهزةٌ تُسقطُ فهماً خاصاً على النص القرآني، وتكونُ في الغالب بعيدةً عن مَنظومة مَقاصد الشريعة الإسلامية[2]، لأنها مُستمَدةٌ من نَظرية عامة في الفهم، واستُخدمَت هذه النظريةُ في الغَرب تحتَ مُصطلح "الهرمنيوطيقا"، الذي ارتَبطَ في بداية نَشأته بالنصوص المقدسَة.

وتَبوأ تأويلُ النص القُرآني في الفكر العَربي، في عَصر النهضَة وما بَعدَه، مَوضعَ الصدارة، حيثُ أثيرَت تَساؤلاتٌ حَول النص وطريقة التعامُل معه والنظر فيه، وما هي المُقدماتُ المعرفيةُ والمنهجيةُ لفَهم النص الشرعي وقراءَته قراءةً تأويليةً جَديدةً. والغالبُ على هذه القراءات التأويلية أنها تُشككُ في المقولات الفكرية الموروثَة وتَستخدمُ مَقولات فكريةً ومنهجيةً غربيةً جَديدةً، أو تَستخدمُ مقولات قَديمَةً بعدَ إفراغها من محتواها

(١) لا شك أن المعْنى الحَديثَ الذي أصبحَ يدل عليْه التأويلُ، له دخلٌ كبيرٌ في هذا العَرض، لما لَه من ارْتباط بطُرُق الفَهْم والإدراك والتفسير، الحَديثَة للنص القُرآني، وهي طرُقٌ ومناهجُ حديثةٌ انطلَقَت في قراءَة النصوص الأدبية واللغوية والإبداعية على وجه العُموم، من خلفيات نظرية ومَناهجَ لسانية ومَفاهيمَ فلسفية أثرَت في هيئة التعامُل معَ النصوص وفي تَوجيهها.

(٢) انظر: خالد بن عبدالعزيز السيف: **ظاهرة التأويل الحديثة في الفكر العربي المعاصر- دراسة نقدية إسلامية**، نشر: مركز التأصيل للدراسات والبحوث، ط ١، ١٤٣١ هـ/٢٠١٠م.

ومَنحها دلالةً جَديدَة كمَقاصد المتكلم وتأويل المُخاطَب؛ فهذه القراءاتُ التأويليةُ الحديثَةُ تستخدمُ مفهومَ المقاصد على غير ما وُضعَ له في علم أصول الفقه، وتربطُه بنسبية الأحكام وبتاريخية النص، وتتوسَلُ بمَفاهيمَ تتذَرعُ بها لإعادَة القراءَة والتصحيح، وكأن الطعْنَ والهَدمَ عندَ أصحابها ضرورةٌ علميةٌ وواجبٌ حضاري.

**النص القُرآني والسمْت النظمي :**

منْ مَزايا الكَلام الجَيد البَليغ، تَميزُ صاحبه ببعض العبارات الأدبية أو النماذج الخاصة التي تقترنُ باسمه، فإن اسْتعمَلَها أحدٌ بَعدَه فَعلى سَبيل النقل والتأثر أو الاستفادَة، وتتميزُ هذه النماذجُ المتفردَةُ بدقة النظر وغُموض المسلَك، في توخي الصور والمعاني، وهذا هو الذي عبر عنه شيخُ البلاغة عبدُ القاهر بقوله: «واعلمْ أن الاحتذاءَ عندَ الشعراء وأهل العلم بالشعر وتقديره وتمييزه أن يبتدىءَ الشاعرُ في معنى له وغَرض أسلوباً، والأسلوبُ الضربُ من النظم والطريقةُ فيه، فيعمدُ شاعرٌ آخر إلى ذلكَ الأسلوب، فيجيءُ به في شعره»، وما من شاعر مُجيد إلا وله نموذجٌ يُعْرَفُ به ويُحتَذى، وهو ما يُعْرَف في لغة العلم بالأسلوب أو النمط أو الأنموذَج الخاص Paradigm أو النسق أو الطريقَة أو الضرْب أو المَذْهَب أو النحْو أو المَنْحى...

ونستطيعُ أن نُحْصيَ مئات النماذج لأجاود الشعراء لأنها معان مبتَكَرةٌ وأوضاعٌ غيرُ مَسْبوقَة، ولو تأملْنا لَوَجَدْنا القرآنَ الكريمَ سباقاً إلى الأوضاع الجديدة والنماذج الأسلوبية المُتَفَردَة التي يجمَعُها قولُك "النظْم القُرْآني"، ولوَجَدْنا الحديثَ النبوي الشريفَ مُحْتَذياً كتابَ الله تعالى، من

خلال ما يُعْرَفُ في البَلاغَة النبوية بجَوامع الكَلم، كَقوله ﷺ: «الآنَ حَميَ الوَطيس"[1]... ولَوَجَدْنا لكل عصر مئات النماذج المُنْتَقاة. ونَضربُ على ذلك مثالاً من القرآن الكَريم، من قوله تَعالى: ﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الأعراف:١٤٩]، (الفعلُ: سُقطَ في يَده، يُضرَب لمن نَدم)، قال أبو القاسم الزجاجي: « سُقطَ في أيديهمْ نَظمٌ لم يُسمعْ قبلَ القرآن، ولا عَرَفتْه العربُ، ولم يوجَدْ ذلكَ في أشعارهم، والذي يدل على ذلكَ أن شعراءَ الإسلام لَما سَمعوا هذا النظمَ واستعمَلوه في كلامهم خَفيَ عليهم وجهُ الاستعمال لأن عادَتَهم لم تَجْر به»[2].

ومما يجذبُ الانتباهَ في هذا الباب قولُه تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴾ [فاطر: ٤٣] والمعنى: لا يَنزلُ المكرُ ولا يُجاوزُ ولا يُحيطُ إلا بأهله. ومثْلُ هذه الآيَة في القرآن الكَريم كثير مما يجري مجرى الأمْثال، وهذا هُوَ النوعُ البَديعي المُسمى بإرسال الْمَثَل، من ذلك قولُه تَعالى: ﴿ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴾، ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾، ﴿ ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ ﴾، ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ﴾، ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ ﴾، ﴿ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾، ﴿ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾، ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾، ﴿ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ﴾، ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴾، ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ ﴾، ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾، ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ

(١) أخرَجَه مُسلم في **صَحيحه**، كتاب الجهاد، باب في غَزْوَة حُنَيْن، عن عبد الله بن عباس.

(٢) أبو الفَضْل الميداني النيسابوري: **مَجْمَع الأمثال**، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، نشر دار المعرفة، بيروت.

رَهِينَةٌ ﴾، ﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ﴾، ﴿ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ﴾، ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾، ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾، ﴿ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ ﴾، ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ﴾، ﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾، ﴿ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾، ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ﴾، ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴾، ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾، ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ ﴾، ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾، ﴿ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾، ﴿ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴾، ﴿ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾، ﴿ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾.

فما أجملَ هذه الآيات وما أبدَعَها وما أخصها بالقُرآن الكريم ذي النظم البديع والأسلوب الفريد المتميز.

وهكذا فإذا قلنا إن الشعرَ متفردٌ بنظمه وأساليبه وعباراته ونَماذجه الفذة؛ فإن القرآنَ الكَريم من باب أوْلى وأحْرى أنْ نَتحَدثَ فيه عن الْتباس المَعاني فيما بَيْنَها في العبارَة الواحدة، وتماسُكها واتساقها وكأنها صُبتْ في ذلك القالَب اللغوي إصبابَةً واحدةً وسُبكتْ سَبْكاً واحداً، ولم يعُدْ للفظ الواحد وجودٌ إلا بسابقه وتاليه، ولو أبدلْتَ لفظاً مكانَ لفظ لارتَبكَ التعبيرُ واضطَرَبَ ولَخَرَج من باب البلاغَة إلى باب الكلام المألوف، فَلما أخْرجَت عباراتُ القرآن العظيم ذلكَ الإخْراجَ الكَريمَ تميزَ بناؤه اللغوي والبلاغي وتفردَت عباراتُه البَديعةُ، وأصبحتْ أمثالاً تُضْرَبُ ونَماذجَ تُحْتَذى، مما لَم يُسْمَعْ مثْلُها في بلاد القول.

ففي القرآن الكَريم وحَديث النبي ﷺ، من العبارات النوابغ، والكَلم الجَوامع، والنعَم السوابغ، ما أنْعَمَ به الله على هذه الأمة، فاقتفَتْ آثارَ العبارات البليغَة، ونَسجَتْ على منْوالها ما به يَسْمو كَلامُها، وهذا مَبحثٌ طويلٌ وبابٌ

واسعٌ لمَنْ أرادَ أن يَلجَه. وستتحدثُ في هذا العرض عن النص القُرآني بوَصفه كَلامَ الله سُبْحانَه وتَعالى من أوله إلى آخره، ليسَ فيه حرفٌ مُقحمٌ ليسَ منه، ولا حرفٌ مُسقَطٌ هو منه، ولا حرفٌ مُغيرٌ عن مَكانه، ولا حرفٌ زائدٌ يُستغْنَى عَنه، ولا حرفٌ وُضعَ في غيْر مَوضعه وغيْرُه أوْلى منه في ذلكَ المَكان.

وإذا كانَ كل ذلكَ منفياً عن القُرآن الكريم، بدَليل من نُصوص القُرآن الكَريم وتَراكيبها ودلالتها، انتَهَيْنا بالعَقل والنقل إلى أن القُرآنَ الكريمَ من أوله إلى آخره نص واحدٌ كاملٌ مُتكاملٌ، مُتماسكٌ مُؤتلفٌ، ليسَ فيه فَراغٌ ولا زيادةٌ ولا نُقصانٌ ولا تَغْييرٌ ولا تَبْديلٌ ولا تَحْريفٌ. فمن أيْنَ جاءَ هذا الائتلافُ وهذا الانْسجامُ وهذا التماسُكُ، أو هذه النصيةُ البليغةُ؟ ومن المَعْلوم أن عُلَماءَ عُلوم الآلَة (النحو والبَلاغة والأدب) وعُلَماءَ عُلوم القُرآن الكريم (التفْسير وعلم أسباب النزول والناسخ والمَنسوخ والوَقْف والابْتداء والقراءات...) وعُلَماءَ الأصول والفقه، حاوَلوا، على تَفاوُت بينَهُم، أن يُثبتوا لَنا صفات الكَمال والإعْجاز والتماسُك والانتظام في النص القُرآني، وأن يُثبتوا لَنا أن هذه الوحدَةَ إنما هي وحدَةُ البُنيان. فَما هي مَظاهرُ هذا الجَمال في هذا البُنيان المَشيد؟

الحَقيقةُ أن نُصوصَ القُرآن الكَريم تُعالَجُ من جهة كوْن القُرآن كله وَحدةً بنائيةً بكل سُوَره وآياته وأجزائه وأحزابه وكَلماته، كالجُملة الواحدَة أو البناء المُحكَم الذي يمتنعُ اخْتراقُه لمتانَته وقُوته[1]، ولا يَقبلُ بناؤُه

(١) طه جابر العلواني: **الوَحْدَة البنائية للقُرآن المَجيد**، سلسلة دراسات قرآنية (٣)، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط ١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

وإحكامُ آياته التعددَ فيه أو التجزئةَ في آياته، ولَولا هذه الوَحْدَةُ البنائيةُ لَما استوعَبَ القُرآنُ "خَبَرَ ما بَعْدَنا" حيثُ استوعَبَ مُستقبَلَ البشرية. وبمَنهج التعامُل بهذه الوحدة البنائية لَن نستطيعَ أن نهتم بجانب من جَوانب القُرآن الكَريم كالأحْكام الفقْهية أو الفوائد البلاغية، ونُهمل الجَوانبَ الأخرى؛ لأن مَعانيَ الآيات لَن تُسفرَ عن وَجهها حتى تُقرأَ في سياقها ومَوقعها وبيئتها، وتُدْرَكَ العَلاقةُ بينَ الآيَة والقُرآن الكريم كله؛ لأن القرآنَ بناءٌ مُحكَمٌ واحدٌ، ونَظمٌ مُتفردٌ واحدٌ، تَسري فيه كله روحٌ واحدةٌ تحولُه إلى كائن حي يُخاطبُك كفاحاً ويَشتبكُ مَعك في جَدَل شامل يُجيبُ به عن أسئلتكَ[1].

لَقَد شُغلَ جيلُ التلقي بالتعلم للعَمَل والتطبيق، وشُغلَ جيلُ الروايَة بتتبع الروايات وتَمْحيصها، وشُغلَ جيلُ الفقه بإنتاج الفقْه للاستجابَة لمُسْتجدات الحَياة، وانْتَشَرَ مع مَناهج الفُقَهاء النظَرُ الجُزئي في الآيات والمُسارَعَةُ إلى الدليل الجُزئي.

ولكن المُفسرين بالرغم من اقْتناعهم بأن القُرآنَ يُفسرُ بعضُه بَعضاً لم يُؤد انشغالُهُم بالتفسير إلى الكَشْف عن الوَحدة البنائية للقُرآن الكَريم، وقَد ذم الله عز وجل المُقْتَسمينَ الذينَ جَعَلوا القُرآنَ عضينَ أي مُفرقاً، وآمَنوا ببعض الكتاب وكَفَروا ببعض، وقَد كانَ الذم كافياً للدفع إلى اكتشاف مَنْهَج للقراءَة الواحدَة غير المُجَزئَة لاكْتشاف الوَحْدة البنائية.

❋ ❋ ❋

---

(١) انظُر تفصيلَ الفكرَة في كتاب الوَحْدة البنائية، ص: ١١-٢٠.

وعليه، جاءَ هذا العرضُ ليضعَ اليَدَ على أهمية المُقاربَة النصية اللسانية في مُعالجَة دلالات النصوص وبنياتها، حتى يبلُغَ بهذا المنهج اللساني النصي درَجَةً من الدقة في فهم النصوص، ويتجنبَ المَزالقَ في الفهم ومواطنَ الخَلل فيه، وهي مَزالقُ ناتجةٌ عن إخراج النص عَن مواضعه ومَقاصده، والنص القُرآني الكَريمُ أوْلَى النصوص بالعنايَة والاهتمام، وهذا بابٌ كبيرٌ من أبواب العلم ينبَغي أن تُصرَفَ إليه العنايةُ، ويبلُغَ في ذلك العُلَماءُ الغايةَ، وفي ذلك قالَ الحافظُ أبو الفَرج ابنُ الجَوْزي: «لَما كانَ القُرآنُ العَزيزُ أشْرَفَ العُلوم كانَ الفهمُ لمَعانيه أوْفى الفُهوم؛ لأن شرَفَ العلْم بشَرَف المَعْلوم»[1]. وقَد بدأ يظهرُ في ساحة المَناهج مُقارَباتٌ نصيةٌ حَديثةٌ تَقومُ على الْتماس مَواطن الانسجام والتماسُك في بناء النص القُرآني والبَحث عن كل عَناصر التسانُد في البنية اللفظية والمَضمون الدلالي والمَقاصد الشرعية، التي تَقودُ إلى طريق نَهْجة في النظر السديد والتأويل المُفيد، بعدَ أن نالَ التفْسيرَ ما نالَه من شَطط في الفَهم وابْتعاد عن روح النص ومَقاصده العُلْيا.

ففي المُقاربَة النصية ما يخدمُ الغرَضَ ويُفيدُ في الاستدلال على أسرار النص القُرآني وأعماقه الجَمالية والنصية، التي ترتكزُ على الاستمداد من بنيته النصية نفسها، التي تتوافقُ وسياقَه الخارجي ومَقاصدَه العُلْيا ولا تُعارضُها، وفي هذه المُقاربة النصية أيضاً رد حجاجي بُرهاني على الأقاويل التاريخانية والأباطيل التأويلية والنظريات الفلسفية المُستوْرَدَة

---

(١) **زادُ المَسير في علْم التفْسير**، لابْن الجَوْزي، تحقيق أحمد شَمْس الدين، دار الكُتُب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م.

التي تعْتسفُ الطريقَ إذْ تتخذُ من النص القُرآني، قَسْراً، مطيةً لشحذ أسلحَتها وتُحملُه وُجوهاً من الفهم وأفكاراً بعيدةً لا يُؤيدُها السياقُ الخارجي الذي أحاطَ بنزول النص ولا يُؤيدُها الخطابُ العلمي الذي رافَقَه وبينَ مَنهجَ فهمه وتنزيله والاستنْباط منه، من سيرة نبوية وسنة وسيَر صَحابة واجْتهاد عُلَماء وتَفْسير مُفسرينَ واستنباط فُقَهاء، معَ التأكيد أن الاعتمادَ على تلكَ العَتبات أو النصوص المُوازيَة والمُرافقَة، لنْ يُسقطَ عن الناظر في النص القرآني، العارف بشروط الفهم والتفْسير وقَواعد الاستنباط، الإقْرارَ بأن بَسطَ الدين على واقع الناس لابد أن يأخذ بعين الاعتبار قَضايا العَصر ومُشكلات الناس الذين هم مَحل الحكم الشرعي، وهي أمورٌ وقَضايا تستلزمُ البحثَ في عُلوم الآلة الجديدة، المُسماة اليومَ بالعلوم الاجتماعية والإنسانية، فإن هذه العلومَ المُستحْدَثةَ تُعد إلى جانب الأدوات القَديمة المألوفَة، أدوات ضروريةً لفهم الواقع وإدراك أبعاد الإنسان. وتُقدم من المعارف والنتائج ما تُصبح معه ضرورةً شرعية .

إن تنزيلَ أحكام الشريعة المستنبَطة من النص القرآني على واقع الناس إنما يُراعَى فيه هذا الواقعُ بأعرافه وتقاليده ونُظُمه وأسْلوبه في الحياة وثَقافته وفكره، وهي خُصوصياتٌ جديرةٌ بأن تُراعَى في فَهم النص والاستنباط منه لتنزيل الأحكام، إذا كانَت تستحق ذلك ولا تُعارضُ صريحَ الدين والقَطعي من الأحكام، فيكونُ هذا الاجتهادُ في فهم النص واستيعاب حقيقته مَبنياً على أدَب خاص وقواعدَ تتناسبُ وطبيعَته، وتُستخدَم فيه وسائطُ آليةٌ للتحليل والتصنيف والرصد، قائمةٌ على أسُس علمية غير مَتروكة للتلقائية والعفوية.

❋ ❋ ❋

## مَظاهرُ "بناء النص" في القرآن الكَريم

يَحلو لبَعْض الباحثينَ المُعاصرينَ أن يَنفوا عَن القُرآن الكَريم كُل مظاهر النَّصية المُوحدة للقرآن الكريم[1]، وأنه ليسَ نصاً منسجماً بالمَعْنى الحَديث، الذي يستلزمُ درجةً كبيرةً من الترابُط في مُستوى التأليف اللغوي، فليسَ في القُرآن - بزعْمهم - نَص مترابطٌ ولا مُنسَجمٌ بل لا يوجَدُ ذلكَ حتى في السورة الواحدة على الرغم من المُحاولات الجادة لبعض الدراسات حولَ التفسير الموضوعي للقرآن، والدراسات الجادة في المُناسَبَة الموضوعية بينَ السوَر، بَل ذهبَ هؤلاء الباحثونَ أيضاً إلى أن القُرآنَ الكريمَ مجموعةٌ من المدونات كمدونَة العَقيدَة ومُدونَة الشريعَة ومُدونَة الوَعظ ومدونَة الغَيْب ومُدَونَة القصَص، ولكل مدونة أسلوبُها وعباراتُها، وباستثناء مدونَة الشريعَة، يُمكنُ أن نتصورَ درجات من الغُموض الدلالي تُتيحُ للتأويل مَكاناً في فهم النص والاجتهاد فيه.

وهذا الرأيُ يفتقرُ إلى الأدلة على خُلو النص القُرآني من عَناصر التماسُك والانسجام النصييْن، وهي عناصرُ اجتهَدَ عُلماءُ البلاغة وعُلوم القُرآن لإثباتها والبرهنَة عليْها بالشواهد الكَثيرَة من الآيات والسوَر، وبسْطها وبيانها في كتُبهم.

النص بناءٌ مُحكمٌ مُتماسكٌ، يُفيدُ مَعْنىً مُحدداً؛ والكَلامُ في الشأن

(١) انظُر: المصطفى تاج الدين: **التحليل اللساني وعَالَمية القيم الدينية**، مجلة الإحياء، الرابطة المحمدية للعُلَماء، ع:٣٢-٣٣، رمضان ١٤٣١هـ/ غشت ٢٠١٠م، ص: ١٦٨-١٨٣.

الواحد إذا انفرَطَ عقدُه و«ساءَ نظمُه انحلتْ وحدَةُ مَعْناه، فتفرقَ من أجزائها ما كان مُجتمعاً، وانفَصَلَ ما كانَ مُتصلاً... فَلا بُد إذاً لإبْراز تلكَ الوحدَة "الطبيعية" المعْنوية من إحْكام هذه الوحدَة الفنية "البيانية"، وذلكَ بتَمام التقريب بين أجْزاء البيان والتأليف بينَ عَناصره حتى تتماسَكَ وتتعانَقَ أشد التماسُك والتعانُق»[1]

## ١ – انْسجامُ النص القُرآني وتَماسُكُ بنائه:

عندَما نتحدثُ عن الانْسجام والتماسُك في النص، فإنما نَتحَدثُ عَن معْيارَيْن رَئيسَيْن من مَعايير بناء النص أو ما يُدْعى بالنصية (Textuality)[2]؛

---

(١) محمد عبْد الله دراز: **النبأ العَظيم، نَظرات جَديدَة في القُرآن**، دار الثقافَة-الدوحَة-قَطَر، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص:١٤٢-١٤٣

(٢) تُراجعُ المُؤلفاتُ التي عُنيَت بلسانيات النص وتَحليل الخطاب، ومنها:

- **لسانيات النص، مدخَل إلى انْسجام الخطاب**، محمد خطابي، المركَز الثقافي العربي، الدار رالبيضاء، ط.٢، ٢٠٠٦ م
- **نظرية النص، من بنيَة المَعْنى إلى سيميائية الدال**، حسَن خَمري، الدار العربية للعُلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، بيروت، ط ١، ٢٠٠٧م،
- **في نظرية الأدب وعلْم النص، بُحوث وقراءات**، إبراهيم خَليل، الدار العربية للعُلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، بيروت، ط ١، ٢٠١٠م،
- **مَدخَل إلى علم النص ومجالات تطْبيقه**، محمد الأخضر الصبيحي، الدار العربية للعُلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، بيروت، ط ١، ٢٠٠٨م،
- **بَلاغة الخطاب وعلم النص**، صلاح فَضل، مكتبة لُبنان ناشرون، الشركة المصرية العالَمية للنشر، لونجمان، بيروت، ١٩٩٦م
- **علم لُغَة النص، المَفاهيم والاتجاهات**، سَعيد حَسَن بحيري،، مكتبة لُبنان ناشرون، الشركة المصرية العالَمية للنشر-لونجمان، بيروت، ١٩٩٧م.

==

فالتماسُكُ أو الاتساقُ (Coherence) مَفهومٌ يُعْنى بخَصائص الربط النحوي بينَ الجُمَل والعبارات لتأليف بنية نصية مُتَماسكة مُتَرابطَة، ويعْتَمدُ الربطُ النحوي على الإحالة والتكرار والربط بحروف العطف والفَصل والوَصْل وغيْر ذلكَ. أما الانْسجامُ (Cohesion) فيدْخُلُ فيه الترابُطُ الموضوعي[1] للنص، الذي يجعَلُ من النص وَحدةً دلاليةً. ومن مَظاهره أيضاً اشْتمالُ النص على سَيْرورة واستمرارية وتطور واتجاه نحو غاية محددة تَضمنُ لَه التدرجَ والانتقالَ وتَنْفي عَنه الانتقالَ غيرَ المُسَوغ، ووجودُ مثل هذه العَلاقات المعْنوية داخلَ النص يُيسرُ فهْمَه فَهماً مَنطقياً[2].

❋ ❋ ❋

## ٢- جَمالُ الانسجام في النص القُرآني في كَونه جُملةً مُوَحدةً تَقومُ عَلى قاعدة التناسُق:

بينَ الأستاذ سيد قُطب رَحمه الله في كتابه «التصوير الفني في القُرآن»، أن جَمالَ القُرآن الكَريم ليسَ في كَونه أجزاءً وتفاريقَ، وإنْ كانَ للأجْزاء جَمالٌ وسحرٌ، ولكن جمالَه في كَونه جملةً موحدةً تقومُ على قاعدة

==

- **المُصطَلَحات الأساسية في لسانيات النص وتَحليل الخطاب**، دراسَة مُعجمية، نعمان بوقرة، عالَم الكتُب الحديث، جدارا للكتاب العالَمي، الأردن، ط.٢، ٢٠١٠ م.

(١) **مَدخَل إلى علم النص ومجالات تَطبيقه**، محمد الأخضر الصبيحي، ص: ٨٢.

(٢) **تَحليل الخطاب**، براون ويول، ترجمة محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي، الرياض، منشورات جامعة الملك سَعود، ١٩٩٧م، ص:٢٣٤

خاصة فيها من التناسُق العَجيب ما لا يُدركُه إلا مَن عَرفَ قيمَتَه وعانى قراءَته ومُدارسَته، ووَقفَ على صَميم النسَق القُرآني الذي هو مَنبعُ التأثير والسحر[1]. ولهذا فإن القُرآن الكريمَ حَكى لنا من خلال قول الكُفار: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [فصلت: ٢٦ ]، ما أصيبوا به من ذُعر كان يضطربُ في نفوسهم، من تأثير القرآن في نفوسهم ونفوس أتباعهم، فهُرعوا لتحذير قومهم عندَما أحسوا في أعماقهم روعةً هزتهُم هزاً عنيفاً، فقالوا مستكبرينَ متظاهرينَ بالغلبَة والظهور على سحر القرآن، وهم يُخفون العَجزَ: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [الأنفال: ٣١ ] ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٥ ].

* * *

## ٣- انْسجامُ الأداة التأويلية: من مَظاهر الانسجام تَفسيرُ القُرآن بالقُرآن أي تفسيرُ النص بالنص من داخل النسَق القُرآني نفْسه:

من أهم مَزايا بَيان القُرآن بالقُرآن أنه يضعُ اليَدَ على مظاهر التماسُك والانْسجام في النص الكَريم، ويُكونُ للمُفسر مَلَكَةً يُدركُ بها أساليبَ القُرآن ودَقائقَ نظمه، وفي ذلكَ قالَ ابنُ كَثير في خُطبة تَفسيره: «إن أصَح الطرُق في ذلكَ أنْ يُفسرَ القُرآنُ بالقُرآن، فما أُجملَ في مَكان فإنه قد بُسطَ في مَوْضع آخرَ»[2]، وقالَ العُلَماءُ: «مَن أرادَ تفسيرَ كتاب الله العَزيز

(١) يُنظرُ: سيد قُطب: **التصوير الفني في القرآن**.

(٢) أبو الفداء إسماعيلُ بنُ عُمَرَ بن كثير: **تَفسير القُرآن العَظيم**، تَحقيق: سامي بن محمد سلامة، نشر دار طيبة للنشر والتوزيع، ط.٢، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

طَلَبه أولاً من القُرآن؛ فَما أُجْملَ في مَكان فقَد فُسرَ في مَوضع آخَرَ منه، فَمن ذلكَ أنه قد يَقعُ تَبيينُ الآيَة مُنْفصلاً عَنْها أيْ يُلتَمَس في آية أخْرى نحو قوله تَعالى: ﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ ﴾ [البقرة: ٢٣٠] بَعدَ قَوله: ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ ﴾ [البقرة: ٢٢٩] ؛ فَقَدْ بَينتْ أن المرادَ به الطلاقُ الذي تملكُ الرجْعَة بَعْدَه، ولَوْلا الآيَةُ المُبينَةُ لَكانَ الأمرُ مُنْحصراً في الطلقَتَيْن. وقدْ أخْرجَ أحمدُ وأبو داوُدَ عَن أبي رزين الأسدي قالَ: قالَ رجلٌ: يا رَسولَ الله أرَأيْتَ قولَ الله "الطلاقُ مَرتان"، فأيْنَ الثالثةُ؟ قالَ: "أوْ تَسريحٌ بإحْسان". ومن ذلكَ قَولُه تَعالى: ﴿ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ﴾ [المائدة: ١] فَسرَ ما بعْدَه[1]: ﴿ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ ﴾ [المائدة: ٣].

ويُلحَقُ ببَيان القُرآن بالقُرآن، بَيانُه بالسنة؛ فكُل ما حَكَمَ به رَسولُ الله ﷺ فهو مما فَهمَه من القُرآن، لقَوله تَعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ ﴾ [النساء: ١٠٥]، وقالَ تَعالى: ﴿ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٤٤ ﴾ [النحل: ٤٤]، وقالَ تَعالى: ﴿ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٦٤ ﴾ [النحل: ٦٤] وقالَ رَسولُ الله ﷺ: «ألا إني أوتيتُ القُرآنَ ومثلَه مَعَه»[2]، يَعني السنةَ. وقدْ فَسرَ النبي ﷺ قولَه تَعالى: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ ﴾ [الأنعام: ٥٩ ]، بقوله:

---

(١) جَلال الدين عبْد الرحمن السيوطي: **الإتقان في عُلوم القُرآن**، تحقيق مُصطفى ديب البُغا، دار ابن كثير، دمشق/بيروت، ط.٢، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، ج:٢، ص:٦٩٤-٦٩٥.

(٢) عَن المقْدَام بْن مَعْديكَرب: **سُنن أبي داوُدَ**، الحديث:٤٦٠٦، باب فى لُزُوم السنة.

«مَفاتحُ الغَيْب خَمْسٌ: إن الله عنْدَهُ علْمُ الساعَة، ويُنزلُ الغَيْثَ، ويَعْلَمُ ما فى الأرْحام، وما تَدْري نَفْسٌ ماذا تَكْسبُ غَدًا، وما تَدْري نَفْسٌ بأى أرْض تَموتُ، إن الله عَليمٌ خَبيرٌ»[1].

فَقد بَينَت السنةُ أفعالَ الصلاة والحج ومَقاديرَ نصب الزكَوات في أنْواعها.

أما إنْ لم يَجد المُفسرُ في السنة رَجعَ إلى أقْوال الصحابة؛ فَإنهُم أدْرى بذلكَ لما شاهَدوه منَ القَرائن والأحْوال عندَ نُزوله، ولما اخْتَصوا به من الفَهم التام والعلم الصحيح والعَمل الصالح. وقد رَوى الحاكمُ في المُسْتَدرك أن تَفسيرَ الصحابي الذي شَهدَ الوَحيَ والتنزلَ له حُكمُ المَرْفوع[2].

وهكذا فإن شرحَ كلمة قُرآنية بأخرى أو جُملة بأخرى أو آيَة بآيَة، من القُرآن الكَريم لَيُعَد مَظهراً من مَظاهر انْسجام النص القُرآني، أما شَرحُها بأخرى من خارج القُرآن فَلَنْ يُؤَديَ المَعْنى المرجُو، ويظل شَرحاً تقريبياً لأن العبارَةَ اللغويةَ الشارحَةَ لا تَزنُ قيمَةَ العبارَة المُنزلَة وَحْياً. ولكنه على كل حال يظل خاضعاً لمبدَإ الترابُط بين مُكونات النص، سواء أكانَ ترابُطاً رَصفياً (نظمياً) أم كانَ ترابُطاً مَفْهومياً للأفكار، ويدخُلُ هذا الارتباطُ أو هذه العَلاقاتُ في باب "التناص"[3]، بمَعْنى أن بينَ النص وشَرْحه أو بيْنَه

(١) **صَحيح البُخاري**، كتاب التفسير، باب (وعنْدَهُ مَفاتحُ الغَيْب لا يَعْلَمُها إلا هُوَ) والحَديثُ عَنْ سالم بْن عَبْد الله عَنْ أبيه.

(٢) **الإتقان**: ج:٢، ص:١١٩٧.

(٣) هذا نوعٌ من التسانُد التأويلي بينَ نصوص القُرآن الكَريم يُعبرُ عنه أهلُ لسانيات النص بالتناص [Intertextuality]، ومعناه أن مَعْنى نص ما يوجَدُ في نص آخرَ من ==

وبيْنَ تَفْسيره وتأويله، أو بينَه وبينَ ترجمته أو تَرْجمَة مَعانيه إلى لغة أخرى أو مُحاكاته، أو أي شيء من هذا القَبيل، رابطة تُسَمى "التناص"، فمن التناص تَفْسيرُ القُرآن بالقُرآن، وتَخْصيصُ السنة لعُموم القُرآن[1].

* * *

## ٤ - منْ مَظاهر انْسجام النص القُرآني وتَماسُك بنائه: تَناسُبُ أجْزائه:

يَدخلُ في هذا الباب كل المَباحث اللغوية والنحوية والبلاغية التي تُعْنى بالعلاقات الكُبْرى بينَ أجزاء النص، ومن شأن هذه الدراسَة النصية أنْ تُجنبَ النص القُرآني القراءةَ التجزيئيةَ، وتُقدمَ قراءةً جامعةً تنتظمُ فيه الكَلماتُ والآياتُ والسورُ في سلك واحد، وتَنتظمُ فيه المَعاني والدلالاتُ والمَقاصدُ في أصل واحد، فيَبْدو النص القرآني كله قطعةً واحدةً يَكونُ فيها الكَلامُ مُتحدراً تَحدرَ الماء المُنْسَجم، سُهولةَ سَبك وعُذوبةَ ألفاظ، وجَمْعَ مَعان، وهذا الجامعُ بين الأجزاء هو الذي سَماه الإمامُ البقاعي بالأمْر الكُلي المفيد لعرفان مُناسَبات الآيات في جَميع القُرآن[2]، وهو

==

داخله أو من خارجه، يُنظَرُ: تمام حَسان: **مَفاهيمُ ومَواقفُ في اللغة والقُرآن**، ص: ٤٤٣.

(١) للتوسع في مبدأ **التناص**، يُنظَرُ: تَمام حَسان، **البَيان في رَوائع القُرآن**، مَنشورات عالَم الكتُب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٣م، ج:١، ص:٤٠٣ و٤٥٧.

(٢) وهذا ما يُعرَفُ **بعلْم التناسُب** أو **علم المُناسبات**، وهو علمٌ تُعرَفُ منه **علَلُ الترتيب**، وموضوعُه أجزاء الشيء المَطلوب علمُ مُناسبته من حيثُ الترتيب، ==

أنكَ تَنظرُ الغَرضَ الذي سيقَتْ له السورةُ، وتَنظرُ ما يَحتاجُ إليه ذلكَ الغَرضُ من المقدمات وتَنظرُ إلى مَراتب تلكَ المقدمات في القُرب والبُعد منَ المطلوب، وتَنظرُ عندَ انجرار الكَلام في المقدمات إلى ما يَستَتْبعُه من اسْتشراف نَفْس السامع إلى الأحْكام واللوازم التابعة لَه، فَهذا هو الأمْرُ الكُلي المهيْمنُ عَلى حُكم الربط بين جَميع أجْزاء القُرآن، وإذا فَعلتَه تَبينَ لكَ إنْ شاءَ الله وَجهُ النظم مُفصلاً بين كُل آية وآية في كُل سورة سورة.

وقد أشارَ الإمامُ فَخر الدين الرازي إلى أن أكثَرَ لَطائف القُرآن الكَريم مودَعَةٌ في الترْتيبات والروابط[1].

ويَدخُلُ في باب المناسَبة التذييلُ وهو بابٌ من أبواب البَديع، وهو ضَربٌ من التعقيب على ما سَبَقَ في الآيَة؛ وهو أن يُؤتى بَعدَ تَمام الكَلام بكلام مُستقل في مَعنى الأول تَحقيقاً لدلالة مَنطوق الأول أو مَفهومه؛ ليكونَ معه كَالدليل ليظهرَ المعنى عندَ مَن لا يَفهمُ ويَكْملَ عندَ مَن فَهمَه، كَقوله تَعالى: ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْ ﴾ [سبأ: ١٧]، ثم قالَ تَعالى: ﴿ وَهَلْ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴾ [سبأ: ١٧ ] ؛ أي لا يُجازى ذلكَ الجزاءَ الذي يَستحقه

==

**وثَمَرتُه الاطلاعُ على الرتبة التي يستحقها الجُزءُ بسَبَب ما لَه بما وَراءَه وما أمامَه منَ الارتباط والتعلق**، بناءً على أن اسمَ **كل سورة مُترجمٌ عَن مَقصودها**، ومَقْصودُ كل سورة هاد إلى تَناسُبها.(الإمام إبراهيم بن أبي بَكر البقاعي: **نظمُ الدرَر في تَناسُب الآيات والسوَر**، تحقيق: عَبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ، انظُر مُقدمَة الكتاب).

(١) البقاعي: **نَظمُ الدرَر في تَناسُب الآيات والسوَر**، المقدمة.

الكَفورُ إلا الكَفورُ[1]، ومثلُه: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ ﴾ [الإسراء: ٨١] وبَعْدَه: ﴿ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء: ٨١].

فالمُلاحَظُ أن بينَ مَضمون الآيَة ومَضمون التذْييل انسجاماً وتآلُفاً وتَناسُباً؛ فَلا تجدُ آيةَ عقاب تُذيلُ بآية رضوان، فإن البَيانَ القُرآني بقيَمه وأدواته يتجه نَحوَ رعايَة مَطالب المَعْنى وتَناسُب الصدور والخَواتيم؛ ومن الشواهد على عبارات التذييل، قَولُه تَعالى: ﴿ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٢ ]، ﴿ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [آل عمران: ١٥٣]، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [آل عمران: ١١٩ ]، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٥٥]، كل آية من هذه الآيات وَرَدَت في سياق التذييل لما قَبلَها، بَعْدَ تَمام المَعْنى.

ويدخُلُ في المُناسَبَة أيضاً بابٌ من أبواب البَديع، وهو التتْميمُ؛ وهو إرْدافُ الكَلمة بأُخْرَى تَرْفَعُ عنها اللبْسَ وتُقَربُها من الفَهْم، وتُتم المَعْنى إما مُبالغة أو احْترازا أو احْتياطا، نَحو قوله تَعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ [البقرة: ٢٠٦]، تم المَعْنى بقوله "بالإثْم"؛ وذلك أن العزةَ تكونُ محمودةً ومَذمومةً؛ فَمنْ مَجيئها مَحمودةً: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون: ٨]، ﴿ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة: ٥٤] فلو أُطْلقَتْ كلمةُ العزة لَتَوَهمَ فيها بعضُ مَنْ لا عنايةَ له العزةَ المحمودةَ، لذلكَ قيلَ: "بالإثم" تتميماً للمراد فَرُفعَ اللبْسُ بها[2].

---

(١) **البُرهان**، ج:٣، ص:٦٨-٦٩.و**الإتْقان**: ج:٢، ص:٨٦٩.

(٢) أحمَد بن يوسُفَ السمينُ الحَلَبي: **الدر المَصون في عُلوم الكتاب المكْنون**، تحقيق أحمَد محمد الخراط، دار القَلَم، دمَشق، ١٩٩٤م، ج:٢، ص: ٣٥٤-٣٥٥.

ففي اللفظ المُتَمم إلحاقٌ يَكْمُلُ به المَعْنى؛ إذْ يأتي المعنى غَيرَ مَشروح وربما كان السامع لا يتأملُه ليعودَ المتكلمُ إليه شارحاً، نحو قَوله تَعالى: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ ﴾ [الإنسان: ٨]، فَالتتميمُ في قَوله «عَلى حُبه» جُعلَ الضميرُ الهاءُ كنايةً عن الطعام مَع اشْتهائه. وكذلك قوله: ﴿ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ﴾ [البقرة: ١٧٧] وقوله: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ ﴾ [النساء: ١٢٤] فقوله ﴿ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ تتميمٌ في غاية الحُسن[1].

ويدخُلُ في المُناسبَة أيضاً تَجانُس الألفاظ والمُزاوَجَةُ بيْنَها؛ كَقَوله تَعالى: ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ [البقرة: ١٩٤]، ﴿ وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ [البقرة: ١٤ -١٥]، ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ ﴾ [النساء: ١٤٢]، ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ ﴾ [الطارق: ١٥-١٦]، ﴿ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٥٤]، ﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾[الشورى: ٤٠]، ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ [الرحمن: ٦٠]، ومنْ قَبيل المناسبة أيْضاً: ﴿ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم ﴾ [التوبة: ١٢٧]، ﴿ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴾[النور: ٣٧][2].

ولقَد أشارَ الجاحظُ إلى نَظم القُرآن واسْتمراره واطراد أساليبه على

(١) البُرْهان، ج:٣، ص:٧٠

(٢) انظُر تَفصيلَ الكَلام عن المُناسبَة في كتاب: مجد الدين الفيْروزابادي: **بَصائر ذَوي التمييز في لَطائف الكتاب العَزيز**، تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت، ج:١، ص٧٠.

الصفة العالية في البَلاغة والفَصاحَة، فَقالَ: «وقَد يستخف الناسُ ألفاظاً ويَستعملونَها وغَيرُها أحق بذلك منها، ألا تَرى أن الله تَبارك وتعالى لم يذكُرْ في القُرآن الجوعَ إلا في مَوضع العقاب أو في مَوضع الفَقر المُدْقع والعَجْز الظاهر، والناسُ لا يَذكُرونَ السغَبَ ويَذكُرونَ الجوعَ في حال القُدْرة والسلامة، وكَذلكَ ذكْرُ المطر؛ لأنكَ لا تجدُ القُرآنَ يلفظُ به إلا في مَوضع الانتقام، والعامةُ وأكثرُ الخاصة لا يَفْصلون بين ذكْر المطر وبَينَ ذكْر الغَيث، ولفظُ القُرآن الذي عليه نَزَلَ أنه إذا ذَكَرَ الأبصارَ لم يقُل الأسماع، وإذا ذَكَرَ سَبعَ سَموات لم يَقُل الأرَضينَ، ألا تَراه لا يجمعُ الأرْضَ أرَضينَ، ولا السمْعَ أسماعاً، والجاري عَلى أفْواه العامة غَيرُ ذلكَ، لا يَتفقدونَ منَ الألفاظ ما هو أحق بالذكر وأولى بالاستعمال..»[1].

وفرقَ في مَوضع آخَرَ بينَ نَظْم القُرآن وتأليفه وبيْن نَظم سائر الكَلام وتأليفه؛ فليْسَ يعرفُ فُروقَ النظم واختلافَ البحث والنثر إلا مَن عرَفَ القَصيدَ من الرجز، والمُخَمسَ من الأسجاع والمُزاوَجَ من المَنْثور والخُطَبَ من الرسائل... فإذا عرَفَ صنوفَ التأليف عرَفَ مُبايَنةَ نَظم القُرآن لسائر الكلام[2].

والدليلُ على هذا الأمر الكُلي عَلى سَبيل المثال لا الحَصر سورةُ

(١) أبو عُثمان الجاحظ: **البيان والتبيين**، تحقيق عبد السلام مُحمد هارون، مط. المَدَني، القاهرَة، نَشر مَكْتَبَة الخانجي، القاهرَة، ط.٧، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م، ج:١ / ص: ٢٠.

(٢) أبو عُثمان الجاحظ: **كتاب العُثمانية**، تحقيق عبد السلام مُحمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ / ١٩٩١م، ص: ١٦.

الفاتحة التي تُعد أم الكتاب؛ فَقَد «اشْتمَلتْ عَلى أمهات المطالب العالية أتم اشْتمال، وتَضمنتْها أكْملَ تَضمن...»[1]، ثم أخبرَ تعالى بهذا المَعْنى في قوله سُبحانَه: ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [هود: ١]، فالإحكامُ إحْكامٌ لبناء مَتين حتى لا يخرقَه خارقٌ، « القُرآنُ محفوظٌ ومُغلقٌ بإحكام أمامَ كل مُحاولات الاختراق»[2]، فهُو بناءٌ واحدٌ مُتماسكٌ لا يقبلُ التجزؤَ أو التعددَ، فَلا يقبلُ كتابُ الله أن نهتم بجانب منه ونُهمل الجَوانبَ الأخرى، فَلا تفتَحُ الآياتُ والسورُ مَعْناها لقارئها حتى يعرضَها على سياقها ومَوقعها من النص القُرآني كله.

والنص القُرآني نَص مُتماسكٌ تَترابطُ ألفاظُه تَرابُطاً لغوياً نحوياً مَتيناً، ويُنشئُ الترابُطُ نظاماً ومعماراً مُحكَماً لا يقبلُ التجزيءَ، حتى قالوا إن القُرآنَ الكَريمَ كله كالسورة الواحدَة، يذكُرُ الشيءَ في سورة ويأتي بالجَواب في سورة أخرى[3]، نحو: ﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ٦ ﴾ [الحجر: ٦]، وجوابه: ﴿ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ﴾ [القلم: ٢]، فالكَلامُ القُرآني كله في جَرَيان كالماء المُنسجم؛ وكلما قَويَ الانسجامُ

---

(١) ابنُ قيم الجوزية: **مَدارج السالكينَ بينَ مَنازل إياكَ نَعبدُ وإياكَ نَستعينُ**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م، خُطبة الكتاب.

(٢) طه جابر العلواني: **الوحدة البنائية للقُرآن المَجيد**،، سلسلة دراسات قُرآنية (٣)، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط ١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص:١٣.

(٣) ابن هشام الأنصاري: **مُغْني اللبيب عَن كتُب الأعاريب**، تحقيق عَبْد اللطيف محمد الخَطيب، نَشر المجلس الوطني للثقافَة والفنون والآداب، السلسلة التراثية، ط ١، الكُويْت، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، ج:٣، ص:٣٣٦-٣٤٠.

حسبْتَ فقراته موزونةً بلا قَصد[1]، نحو قوله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ ﴾ [الكهف: ٢٩]، وقوله: ﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾ [هود: ٣٧]، وقوله: ﴿ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة: ٢١٣]، وقوله: ﴿ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الحجر: ٤٩-٥٠].

تختلفُ ألفاظُ القُرآن الكريم ولا تَراها إلا مُتفقةً، وتفترقُ ولا تَراها إلا مُجتمعةً، وتذهَبُ في طَبَقات البيان وتَنتقلُ في مَنازل البلاغة، وأنتَ لا تعرفُ منها إلا روحاً تُداخلُك بالطرب، وتُشربُ قلبَكَ الروعَةَ... فأنتَ في القُرآن حتى تفْرغَ منه، لا تَرى غيرَ صورة واحدة من الكَمال وإن اختلَفَت أجزاؤُها في جهات التركيب وموضع التأليف وألوان التصوير وأغراض الكَلام، كأنها تُفضي إليكَ جُملةً واحدةً حتى تُؤخَذَ بها[2].

* * *

**٥- ومن مَظاهر الانسجام أيضاً الجمعُ بينَ غرضيْن مختلفين،** كالجمع بينَ التعزية والفَخر في قوله تعالى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧]، فقَد عزى جميعَ المخلوقات

---

(١) جَلال الدين السيوطي: **مُعْتَرَك الأقران في إعجاز القُرآن**، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكُتُب العلمية، بيروت، ج:١، ص:٢٩٥...، **والإتقان**، ج:١، ص: ٩٠٨-٩١٠.

(٢) انظرْ التفصيل في: مصطفى صادق الرافعي: **إعجازُ القُرآن والبَلاغَةُ النبوية**، ص:٢٤٠-٢٤١.

وتمدحَ بالبَقاء بعْدَ فَناء الموْجودات، مَع وصف ذاته بالجَلال والإكْرام.

* * *

### ٦- ومن مَظاهر الانْسجام أيضاً المُلاءَمَةُ والائتلافُ بينَ اللفظ واللفظ، وبيْنَ اللفْظ والمَعْنى، لتَتعادَلَ في الوَضع وتتناسَبَ في النظْم:

- فَمن ائْتلاف الألفاظ مُلاءَمَةُ بَعضها بَعضاً في الغَرابَة، نحو قَوله تعالى: ﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [يوسف: ٨٥ ]، فقد أقسَم بأغرب ألفاظ القَسَم وهي التاء، وبأبعَد صيغ الأفعال الناسخَة وهي "تَفتأ"؛ فإن "تَفتأ" أغربُ من "تَزالُ" وأقل استعمالاً منْها، ثم جاءَ بأغرب ألفاظ الهَلاك وهو "الحَرَضُ"، فاقتضى حُسنُ الوَضع في النظم أن تُجاوَرَ كل لفظة بالتي من جنْسها في الغَرابة وتُقْرَنَ بها توخياً لحُسن الجوار ورعايةً لائتلاف المَعاني بالألفاظ.

- ومن مُلاءَمة الألفاظ لمَعانيها التناسُبُ بين اللفظ والمَعنى في الفَخامَة أو الجَزالَة أو الغَرابَة أو التداوُل أو التوسط والاعْتدال، ومن شواهده قولُه تَعالى: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ﴾ [هود: ١١٣]؛ فالركونُ إلى الظالم دونَ مُشاركَته في الظلم، يُعاقَبُ عَليْه بالمَس بالنار فقط، دونَ الإحراق، وقوله: ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾ [البقرة: ٢٨٦]؛ فقَد جاءَ بلفظ الاكتساب الذي يُشعرُ بالكُلفة والمُبالغَة في جانب السيئة لثقلها[١]، ومن ذلكَ أن الفعلَ "كُبْكبوا" في قوله تعالى: ﴿ فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ

---

(١) السيوطي: **الإتقان**: ج:٢/ص:٩١١، **مُعترَك الأقران**: ج١/ص:٢٩٥.

وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ ﴾ [الشعراء: ٩٤] أبلغُ من الفعل "كُبوا" لأنها في الأول معنى الكَب العنيف، و"يَصطرخونَ" في قَوله تعالى: ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ [فاطر: ٣٧] أبلغُ من "يَصْرُخون" لأنهُم يَصرُخونَ صُراخاً مُنكَراً خارجاً عن الحد المُعتاد، واصْطَبِرْ أبلغُ من "اصْبِرْ" .

## ٧- ومن مَظاهر الانسجام أيضاً حُسْنُ النسَق:

وهو أن يأتيَ المتكلمُ بكلمات مُتتاليات مَعطوفات مُتلاحمات تلاحُماً سليماً مُستحسَناً، بحيثُ إذا أُفْردَت كل جملة منه قامَت بنفسها واستقل معناها بلفظها؛ ومن أجمَل ما ذَكَرَه أهلُ البلاغة والتفسير وعُلوم القُرآن في ذلكَ؛ الآيَةُ الرابعةُ والأربَعونَ من سورة هود: ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ ﴾ ، وما تحدثَ عنه ابنُ مَعصوم المَدَني في باب "حُسن النسَق"[(١)] حيثُ بينَ تَنسيقَ الصفات وهو ذكْرُ كَلمات مَعطوفات مُتلاحمات تَلاحُماً سَليماً مُستحْسَناً، بحيثُ إذا أُفردَت كل جُملة منه قامَت بنفسها، واستَقل مَعناها بلَفظها، وأكبَرُ شاهد على ذلك فاتحةُ الكتاب، وقد بينَ الإمامُ البقاعي وجهَ الانسجام والتماسُك في نص أم الكتاب، بقوله: «وكانَتْ سورةُ الفاتحة أماً للقُرآن، لأن القُرآنَ جَميعَه مُفصلٌ من مجمَلها، فالآياتُ الثلاثُ الأولُ شاملةٌ لكل مَعنىً تَضمنته الأسماءُ الحسنى والصفاتُ العُلى، فكل ما في القُرآن من ذلكَ فهو مُفصلٌ من جَوامعها، والآياتُ الثلاثُ الأُخَرُ من قَوله: ﴿ ٱهْدِنَا ﴾ شاملةٌ لكل ما يُحيطُ بأمر الخَلْق في الوُصول

(١) نقلاً عن السيوطي في **الإتقان**.

إلى الله والتحيز إلى رَحمة الله والانقطاع دونَ ذلكَ، فكل ما في القُرآن منه فَمن تَفصيل جَوامع هذه، وكل ما يَكونُ وُصْلةً بَين ما ظاهرهن هذه من الخلق ومبدؤه وقيامه من الحق فمفصلٌ من آية ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥].

ونَعودُ إلى آيَة: ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [هود: ٤٤]، لنلحَظَ أن جُمَلَ الآية مَعطوفٌ بَعضُها عَلى بَعض بواو النسَق، عَلى الترتيب الذي تَقتَضيه البَلاغةُ من الابتداء بالأهم الذي هو انحسارُ الماء عن الأرض المُتوقف عليْه غايةُ مطلوب أهل السفينة من الإطلاق من سجْنها، ثم انقطاع ماء السماء المتوقف عليْه تمامُ ذلكَ من دفْع أذاه بعدَ الخُروج ومنع إخلاف ما كانَ بالأرض، ثم الإخبار بذهاب الماء بعدَ انقطاع المادتيْن الذي هو متأخرٌ عنه قَطعاً، ثم قَضاء الأمر الذي هو هلاكُ مَن قُدرَ هلاكُه ونجاةُ مَن سبقَ نجاتُه، وأُخرَ عَما قبلَه؛ لأن علْمَ ذلكَ لأهل السفينة بعدَ خُروجهم مَوقوفٌ على ما تَقدمَ، ثم أخبرَ باستواء السفينة واستقرارها المُفيد ذهابَ الخَوف وحُصولَ الأمن من الاضْطراب، ثم ختمَ بالدعاء على الظالمينَ لإفادة أن الغَرقَ وإنْ عَم الأرضَ فلَم يَشملْ إلا مَن استَحق العذابَ لظُلمه[1].

(١) علي صدر الدين بن مَعْصوم المَدَني (ت١١٢٠ هـ): **أنوار الربيع في أنواع البَديع**، تحقيق شاكر هادي شكر، مط. النعمان، النجف الأشرَف، ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م ج٦، ص١٣٣. وهذا الكلامُ مأخوذٌ عن السيوطي بتصرف يسير: **الإتقانُ في عُلوم القُرآن**: ج٢، ص٩٢٥.

وقَد سبقَ أنْ بينَ عبدُ القاهر الجُرجاني مزيةَ ألفاظ آيَة "وقيلَ يا أرضُ ابْلَعي" في ارتباط بعضها ببعض وائتلافها فيما بينَها، وبرْهَنَ على أنه لا يقعُ في وَهم أن تَتفاضلَ كَلمتان مُفردَتان من غَير أنْ يُنظرَ إلى مَوقعهما من التأليف والنظم، ولا تَجدُ أحداً يقولُ: هذه اللفظةُ فَصيحةٌ، إلا وهو يَعتبرُ مَكانَها من النظم وحُسن مُلاءَمة مَعناها لمعنى جاراتها، وفَضل مُؤانَستها لأخَواتها. ولا يقولونَ: لَفظةٌ مُتمكنةٌ ومَقبولةٌ، أو قَلقةٌ ونابيةٌ ومُستكْرَهَة، إلا وغَرضُهم أنْ يُعبروا بالتمكن عن حُسن الاتفاق بين هذه وتلك من جهة معناهما، وبالقَلق والنبو عن سوء التلاؤم. ولا يشك الناظرُ في قوله تَعالى: ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾، أن ما وَجدَه من المزية الظاهرة، إلا لأمر يَرجعُ إلى ارتباط هذه الكَلم بَعضها ببعض، وأنْ لمْ يَعرضْ لها الحُسنُ والشرفُ إلا من حيثُ لاقَت الأولى بالثانية والثالثةَ بالرابعة، وهكذا، إلى أن يَسْتقريَها إلى آخرها[1].

ومنْه قَولُه تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل: ٩٠]، وَعظَ في ذلك بألطف مَوعظة، وذَكرَ بألطف تَذكرة، واسْتَوعَبَ جَميعَ أقسام المَعروف والمُنكر، وأَتى بالطباق اللفظي والمعنوي، وحُسن النسَق وحُسن البَيان والإيجاز، وائتلاف اللفظ معَ معناه .

(١) انظُرْ رأي عبد القاهر بتفصيل في كتابه: **دَلائل الإعجاز**، تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي-القاهرة، ص: ٤٤-٤٦.

ومنه: ﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴾ [النازعات: ٣١]، وهي آيَةٌ مُحتويةٌ عَلى حاجات الحيوانات كافةً، وهذا ما يُسمى بالكلمَة الجامعَة أو جَوامع الكَلم، ومن ذلكَ قولُه تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾ [الأنعام: ١٥١] إلى آخر الثلاث الآيات الجامعَة لجميع الأوامر والنواهى، ومصالح الدنيا والآخرة، وقوله: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾ [القصص: ٧] يَشتملُ عَلى أمْرَين، ونَهْيَيْن، وخَبَرَيْن، وبشارَتَيْن[1].

* * *

## ٨- ومن مَظاهر الانْسجام أيضاً اللف والنشْرُ[2]:

وهو أن يُذكَرَ شيئان أو أكثرُ، إما إجمالاً، أو تَفصيلاً بالنص على كل واحد، فَمن الإجمال قولُه تَعالى: ﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ﴾ [البقرة: ١١١]؛ أي قالَت اليهودُ لن يدخُل الجنةَ إلا مَن كانَ هوداً، وقالَت النصارى لن يدخُلَ الجنةَ إلا مَن كانَ نصارى، والذي سوغَ الإجمالَ في اللف ثُبوتُ العناد بين اليهود والنصارى؛ إذ يقصرُ كل فريق

(١) **بَصائر ذوي التمييز في لَطائف الكتاب العَزيز**، مجد الدين الفيْروزابادي، ج:١، ص٧١-٧٢.

(٢) **الإتقان**: ج٢/ص:٩٢٩، ومُعتَرَك **الأقران**: ج١/ص:٣١٠

دُخولَ الجنة على فريقه وملته، فعُرفَ عقلاً أنه يُرَد كل قول إلى فريقه لأمن اللبْس. ومن التفْصيل قولُه تعالى: ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [القصص: ٧٣] فالسكونُ راجعٌ إلى الليل وابتغاءُ الفَضل راجعٌ إلى النهار، ومن التفْصيل أيضاً: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٩]، فاللومُ راجعٌ إلى البُخل، وكونُه محسوراً راجعٌ إلى الإسْراف.

* * *

### ٩- ومن مَظاهر الانسجام أيضاً المُشاكلَةُ أو التشاكُلُ[١]:

وهو ذكْرُ الشيء بلفظ غيره لوقوعه في سياقه، فكَلماتُ النص تدخُلُ في علاقة مُشاكلة، فتكونُ كل كلمة من تلكَ الكلمات مُحملَة بقُيود تُخصصُها، فتُرجح خصائصَ وتَستغْني عَن أخرى، حتى تنْسَجمَ أجزاءُ الكلام، وذلكَ أن الكلمةَ في ذاتها تكونُ متعددةَ السمات والدلالات، ولا تتخلصُ من كَثافتها إلا عندَما تندرجُ في سياق تركيبي مُعين، وذلك لتحصيل التشاكُل الدلالي (Isotopie)[٢]، ومن التشاكُل قولُه تعالى: ﴿ **تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ** ﴾ [المائدة: ١١٦] ، ﴿ **وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ** ﴿٥٤﴾ ﴾ [آل عمران: ٥٤ ]، فإن إطلاقَ النفْس في جَنب الله سُبحانَه، إنما ورَدَ لمُشاكلَة ما مَعه، وكَذلك المكْرُ. ومثلُه في التشاكُل بين

(١) **الإتقان**: ج٢/ص:٩٢٩، ومُعتَرَك **الأقران**: ج١/ص:٣١٠

(٢) عبد الإله سليم: **بنْيات المُشابَهة في اللغة العربية، مُقاربَةٌ معرفية**، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط ١، ٢٠٠١ م، ص:٩٠.

اللفظيْن قولُه تعالى: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ [الشورى: ٤٠]؛ لأن الجَزاءَ حق لا يوصفُ بأنه سَيئةٌ، ومثلُه: ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ [البقرة: ١٩٤] ، ﴿ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ﴾ [الجاثية: ٣٤]، ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ٧٩] ، ﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٤-١٥].

* * *

## ١٠- ومن مَظاهر الانْسجام في النص القُرآني: الُمطابَقَةُ والُمقابَلَةُ:

والمُطابَقةُ الجمعُ بينَ مُتضاديْن في النص، نحو قوله تعالى: ﴿ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [التوبة: ٨٢]، و ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحديد: ٢٣]، و ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ﴾ [الكهف: ١٨]، ومن أخفى المُطابَقات في القُرآن الكَريم قولُه تَعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [البقرة: ١٧٩] لأن مَعْنى القصاص القتلُ، فَصارَ القتلُ سببَ الحياة. ومن الطباق الخفي قولُه تعالى: ﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا ﴾ [نوح: ٢٥ ] لأن الغرَقَ من صفات الماء، فكأنه جَمَعَ بَين الماء والنار[١].

أما المُقابلَةُ فتكونُ بذكْر لفظَيْن فأكثَر، ثم أضدادها على الترتيب،

---

(١) **الإتقان**: ج:٢ / ص:٩٣٣-٩٣٤.

ومن ذلكَ قولُه تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾ [الليل: ٥-١٠]؛ قابَلَ بين الإعطاء والبُخل، والاتقاء والاستغْناء، والتصديق والتكذيب، واليُسرى والعُسْرى، ولما جَعَلَ التيسيرَ في الأول مُشتركاً بينَ الإعطاء والاتقاء والتصديق، جعَلَ ضده وهو التعسيرُ، مُشتركاً بَينَ البُخل والاستغناء والتكذيب.

## ١١- ومن مَظاهر الانْسجام أيضاً الوَصْلُ لَفظاً الفَصْلُ مَعْنىً:

هذا بابٌ جَليلٌ عَقَدَ له بَدرُ الدين الزركَشي فَصْلاً ضمنَ علم المُناسَبات، سَماه: «فَصْل في اتصال اللفظ، والمَعْنى عَلى خلافه»[1]، ووَضَعَ له جلالُ الدين السيوطي باباً في أنواع علوم القُرآن الكَريم، وسماه «بَيان المَوْصول لَفْظاً المَفْصول مَعْنىً»[2]، وعَده نَوعاً مُهماً وأصلاً كَبيراً في الوَقْف، جديراً بأن يُفرَدَ بالتصنيف، وبه يحصُلُ حل إشْكالات وكَشفُ مُعْضلات كَثيرة[3].

فمن ذلكَ أنه قدْ تأتي الكلمةُ إلى جانب كلمة أخْرى كأنها مَعَها،

---

(١) **البُرْهان**: ج:١/ص:٥٠.

(٢) **الإتقان**: ج:١ / ص:٢٨٠-٢٨٣.

(٣) وممن أفْرَدَه بالتصنيف حَديثاً الدكتورة **خُلود شاكر فهيد العَبْدَلي**، في كتابها: "**المَوْصول لَفْظاً المَفْصول مَعْنى**"، **في القُرآن الكَريم، من أول سورة يس إلى آخر القُرآن الكَريم**، جَمْعاً ودراسَةً، قدمَ للكتاب: مساعد بن سليمان الطيار، نَشر: مَرْكز "تَفْسير" للدراسات القُرآنية، الرياض، ١٤٣١هـ..

وهي غيرُ مُتصلة بها، وَمَن لَم يُنعم النظرَ حَسبَ جُزأي الكَلام مُتصلَيْن لفظاً ومَعْنىً، لشدة الانسجام بينَهُما. ومن ذلك في كتاب الله: ﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٥١﴾﴾ [يوسف: ٥١] هذا من كَلام امرأة العَزيز، ثم أتى بَعدَه كلامُ يوسُفَ: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [يوسف: ٥٢ ]. ومثلُه: ﴿قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً﴾ [النمل: ٣٤]، هذا مُنْتَهى قوْل ملكَة سبأ، فقالَ الله تَعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾[1] [النمل: ٣٤]، ولا يَجوزُ مَعْنىً أن يوصَلَ الآخرُ بالأول على أن يُجعَلَ من كلام متكلم واحد. ومثلُه: قولُه تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ﴾ [يس: ٥٢] هنا ينْتَهي قولُ الكُفار، ويبدأ قولُ أهل الهُدى: ﴿هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ٥٢]. وأخرجَ ابنُ أبي حاتم عن قَتادةَ[2] في هذه الآية قالَ: آيةٌ من كتاب الله أولُها أهلُ الضلالة وآخرُها أهلُ الهُدى «قالوا يا وَيْلَنا مَن بَعثَنا منْ مَرقَدنا» هذا قولُ أهل النفاق، وقالَ أهلُ الهُدى حينَ بُعثوا من قُبورهم: ﴿هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾.

فتبَينَ من الآيات السابقَة أن المَوْصولَ لفظاً المَفصولَ مَعْنىً: «هو مَجيءُ الآية أو الآيات في السورة الواحدَة على نَظم واحد في اللفظ، يوهمُ اتصالَ المَعْنى»[3]، والمَقْصودُ بالاتصال اللفظي تَجاوُرُ الألفاظ.

* * *

(١) وإن كانَ في الأمر خلافٌ بين المُفسرينَ في هذه النسبَة.

(٢) السيوطي: **الإتقان**: جزء:١/ص:٢٨٣.

(٣) خُلود شاكر فهيد العَبْدَلي: "**المَوْصول لَفْظاً المَفْصول مَعْنى**"، **في القُرآن الكَريم**، ص:٢٩.

وهكذا، فإن الحديثَ عن مَظاهر انسجام النص القُرآني وتَماسُك أجزائه، يُثبتُ أن الوحدةَ المعنويةَ - وَحْدَةَ المَعْنى وكُليةَ القَضية- تؤثرُ في إحْكام الوَحْدة البَيانية الفنية، وذلكَ بالتقريب بينَ الْمُؤلفات، حَتى تتَماسَكَ وتَتعانقَ[1]. وعليْه فإن الكلامَ في المَوضوع الواحد إذا ساءَ نَظمُه انحلت وَحْدةُ مَعْناه فتَفَرقَ من أجزائها ما كانَ مُجتمعاً، وانفصَلَ ما كانَ مُتصلاً... فالتأليفُ بينَ الأجزاء حتى تتعالَقَ وتتعانَقَ مَطلَبٌ كبيرٌ يَستلزمُ مَهارةً وحذْقاً ولُطفَ حس في اختيار أحسن المَواقع لتلْكَ الأجزاء، أيها أحق أن يُجعلَ أصلاً أو تَكْميلاً، وأيها أحق أن يُبدَأ به أو يُختَمَ أو يَتبوأ مَوقعاً وسَطاً؟ ثم يحتاجُ مثلَ ذلكَ في اختيار أحسن الطرُق لمزْجها: بالإسناد أو بالتعليق أو بالعَطْف أو بغيْرها؟ هذا كله بعْدَ التلطف في اختيار تلكَ الأجزاء أنفُسها، والاطمئْنان على صلة كل منها بروح المَعْنى وأنها نَقيةٌ من الحَشو قَليلةُ الاستطْراد وأن أطرافَها وأوساطَها تسْتَوي في تَراميها إلى الغرَض[2].

تلكَ حالُ المَعْنى الواحد الذي تتصلُ أجزاؤه فيما بينَها اتصالاً طبيعياً، فَما ظنك بالمَعاني المُختلفة في جوهرها، المُنفصلَة بطبيعتها؟ كَم من المَهارة والحذْق...يتطلبُه التأليفُ بينَ أمزجَتها المُخْتلفَة المُتَفاوتَة، ليَصيرَ لَها مزاجٌ واحدٌ واتجاهٌ واحدٌ، وليَلْزَمَ عَنْ وَحداتها الصغْرى وَحدةٌ جامعةٌ أخْرى.

« هذا شأنُ الأغْراض المختلفة إذا تَناوَلها الكَلامُ الواحدُ في المجلس

---

(١) للتوسع في قضية تأثير وحدة المَعْنى في وحدة المَبْنى، يُراجَعُ: **النبأ العَظيم**، ص: ١٤٢-١٦٣.

(٢) **النبأ العَظيم**، ص: ١٤٣.

الواحد. فَكيفَ لَوْ قدْ جيءَ بها في ظُروف مُختلفة وأزْمان مُتطاولة؟ ألا تَكونُ الصلةُ فيها أشَد انقطاعًا، والهوةُ بينها أعْظَمَ اتساعًا؟

فإنْ كنتَ قدْ أعْجبَكَ منَ القُرآن نظامُ تأليفه البياني في القطعَة منْه، حَيثُ الموضوعُ واحدٌ بطَبيعَته، فهَلُم إلى النظر إلى السورَة منه حَيثُ الموضوعاتُ شَتى والظرُوفُ مُتفاوتةٌ، لتَرى منْ هذا النظام ما هو أدْخَلُ في الإعجاب والإعجاز.

ألستَ تَعلمُ أن ما امتازَ به أسلوبُ القُرآن من اجْتناب سَبيل الإطالة والتزام جانب الإيجاز بقدر ما يتسعُ لَه جَمالُ اللغة قد جعَلَه هو أكثرَ الكَلام افْتناناً، نَعْني أكثَرَه تَناولاً لشؤون القول وأسرعَه تَنقلاً بيْنَها، من وَصْف إلى قَصَص إلى تشريع إلى جَدَل، إلى ضُروب شَتى، بَل جَعَلَ الفَن الواحدَ منه يَتشَعبُ إلى فُنون، والشأنَ الواحدَ فيه تَنْطوي تَحتَه شُؤونٌ وشُؤونٌ ؟

أوَ لَسْتَ تَعلمُ أن القُرآنَ - في جُل أمْره - ما كانَ يَنزلُ بهذه المعاني المختلفَة جُملةً واحدةً، بَل كانَ يَتنزلُ بها آحادًا مُفرقةً عَلى حَسب الوَقائع والدواعي المتجَددة، وأن هذا الانفصالَ الزماني بَينَها؛ والاخْتلافَ الذاتيَ بينَ دَواعيها، كانَ بطبيعَته مُسْتتبعًا لانْفصال الحديث عَنها عَلى ضَرب من الاسْتقلال والاسْتئناف لا يَدَعُ بَينَها مَنْزَعًا للتواصُل والترابُط؟

ألَمْ يكُنْ هذان السببان قُوتين مُتَظاهرَتَين عَلى تَفكيك وَحدة الكَلام وتَقطيع أوْصاله إذا أريدَ نَظمُ طائفة منْ تلكَ الأحاديث في سلك واحد تحتَ اسم سورة واحدَة ؟»[1].

---

(١) **النبأ العَظيم**، ص: ١٤٤-١٤٥.

لقَد كانت الآياتُ تنزلُ مُفرقَةً على حَسَب الدواعي وأسباب النزول المتجددَة، فكان الانفصالُ الزماني بينَها واختلافُ أسباب نزولها يُفتَرَضُ مَعه انفصالُ الحَديث عنها عَلى ضرب من الاستقْلال والاستئناف لا يَدعُ بينَها مَنزعاً للترابُط. فالنص القُرآني مهْما تتعددْ قَضاياه فهو كلامٌ واحدٌ يتعلقُ آخرُه بأوله وأولُه بآخره ويَترامى بجملته إلى غَرض واحد.

وإن ما امْتازَ به النص القرآني من إيجاز في الأسلوب، جعَلَه أكثَرَ تَناوُلاً لشُؤون القول وأسرَعَه تنقلاً بينَها، من وَصف إلى قَصَص إلى تَشريع إلى جدَل إلى ضروب شتى، بل جعَل الفن الواحدَ منه يتشعبُ إلى فُنون، والشأنَ الواحدَ تنطوي تحتَه شُؤونٌ.

وهكَذا فإن وراءَ إحْكام البُنيان القُرآني وتماسُكه تَدبيراً مُحكماً وتَقديراً مُبرَماً؛ كانَ قد أعد لهذه المواد المتفرقَة نظامَها، ووَجهَها في مَرحلَة تشتتها نَحْوَ وجْهَتها البنائية الأخيرَة التي استقرت عَليْها في النص القُرآني، حَتى صيغَ منها عقدُ القُرآن النظيمُ.

### ١٢- ومن مَظاهر الانسجام أيضاً ارتباطُ الجُملَة بمَوْضوع السورة، وارتباطُها الموضوعي بما تفرقَ في القرآن[1]

ومفادُه أن يُبحَثَ عن ارتباط المَعْنى المُستَفاد من جُملة قُرآنية بما تفرقَ في القُرآن من مَعان تلتقي لَها صلةٌ بذلكَ المَعْنى، في موضوع

(١) هذه قاعدةٌ ذكَرَها الأستاذ عَبْد الرحمن حَسَن حبنكَة الميْداني في كتابه: **قَواعد التدبر الأمثَل لكتاب الله عز وجل**، دار القَلَم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط.٤، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩ م، ص:١٣.

واحد، وعن ارتباطه بالمَعاني الأخرى التي اشتَمَلَت عليْها الآيَةُ واشتمَلَت عليْها السورةُ، ومواضعُ الالتقاء والترابُط نسَقٌ يكشفُ عن التناسُب بينَ مَعاني جُمَل الآية ووحدة السورة، وإهمالُ تدبر هذا النسَق العَظيم وعدمُ وَضعه مَوضعَ العناية والاهتمام، يُفوتُ على القارئ المُتدبر مَعانيَ جمةً ووجوهاً إعجازيةً جَليلةً .

وقَد يَكونُ للجُملة القُرآنية التي تَحملُ مَعْنىً عاماً أو خاصاً شبَكَةٌ من العلاقات بعدد من جُمَل السورَة، وبعدد آخَرَ من جُمل تُشاركُها في مَوْضوع عام في القُرآن كله. فيتعينُ على المُحلل أن يكتشفَ الروابطَ الفكريةَ بينَ جُمَل السورة، وإن كانَت خافيةً في اللفظ. من الشواهد على ذلكَ ما دَعاه المؤلفُ بالتربية المُعترضَة[1]، كتربية الله لرَسوله بأنْ لا يَعْجَلَ بالقُرآن من قَبل أن يُقضى إليْه وحيُه، ويحسُنُ الاعتراضُ حينَما يُرادُ تحقيقُ غرَض تربوي، نحو قوله تَعالى: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾ [القيامة: ١٦-١٩]، فهذا اعْتراضٌ بَينَ ما سبقَ الآيَةَ وما جاءَ بعدَها، ولكن مَعَ خَفاء وجه المُناسبَة بين الاعتراض وباقي عَناصر السورة ومَعانيها، ولكن حينَ يُكتشَفُ الغرضُ التربوي الذي سيقَت من أجله آيَةُ الاعتراض، يتضح جَمالُ الانسجام في بيان الآيَة وموضعها، الذي أثبَتَ لَنا هذا التوجيهَ التربوي في سورَة، هي سورةُ القيامَة، حدَثَ فيها حادثُ التعجل وتحريكُ اللسان بالقُرآن، وقد امتثلَ الرسولُ ﷺ فالْتزَمَ بما أُمرَ به، ثُم أنزَلَ الله توجيهاً ثانياً في سورة طَه، ولكنه مُتصلُ بما قبلَه وما بعدَه

(١) **قَواعد التدبر الأمثَل لكتاب الله عز وجل**، ص:١٦.

من الآيات: ﴿وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾ [طه: ١١٤] وليسَ مُعترضاً بين كلاميَيْن مُتلازمَيْن.

## ١٣- منْ مَظاهر الانسجام والتماسُك في النص القُرآني: بَلاغَة التنويع والتلْوين:

قالَ ابنُ جني: «كَلامُ العرب كَثيرُ الانحرافات ولَطيفُ المَقاصد والجهات، وأعذبُ ما فيه تَلَفتُه وتَثنيه»[١]. وقالَ ابنُ المُنير «طريقَة العربية تَلوينُ الكَلام، ومَجيءُ الفعلية تارةً والاسمية أخْرى من غيْر تكلف لما ذَكَروه»[٢].

من مَزايا جَماليات النص القُرآني أنه جَمَعَ بين الافْتنان والتنويع في الموضوعات، والافتنان والتلوين في الأسْلوب، في الموضوع الواحد. فهو لا يستمر طويلاً على نمط واحد من التعبير، كَما أنه لا يستمر طويلاً على هَدف واحد من المعاني، بَل يتنقلُ في السورَة الواحدَة من معنى إلى معنى ويتنقل في المعنى الواحد بين إنشاء وإخبار، وإظهار وإضمار، واسمية وفعلية، ومُضي وحُضور واستقبال وتَكلم وغَيبية وخطاب؛ إلى غير ذلكَ من طُرق الأداء، على نحو من السرعة لا عهدَ لنا بمثله في كَلام غيره قَط. ومعَ هذه التحَولات السريعَة المستَمرة التي هي مَظنةُ الاخْتلاج

(١) ابنُ جني: **المُحْتَسَبُ في تَبيين وُجوه شواذ القراءات والإيضاح عَنْها**، تَحقيق: علي النجدي ناصف وعبد الفَتاح إسْماعيل شَلَبي، لجنة إحْياء التراث الإسْلامي، القاهرَة، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ج٢/ص:٨٦.

(٢) السيوطي: **الإتْقان**، ج:١، ص: ٦٣٣.

والاضطراب، بل مَظنةُ الكَبْوة والعثار، في داخل الموضوع أو في الخروج منه، نَراه لا يَضطربُ ولا يَتعثرُ، بل يحتفظُ بتلكَ الطبقة العُليا من مَتانة النظم وجَودَة السبك حتى يصوغَ من هذه الأفانين الكثيرة منظرًا مؤتلفًا[1].

والأصلُ في تلوين الخطاب الأدبي يَكونُ بأسلوب الالْتفات؛ وهو نَقلُ الكَلام من التكلم أو الخطاب أو الغَيْبة إلى آخَرَ منها، بعدَ التعبير بالأول، وفائدتُه تَطريةُ الكَلام وتَجديدُه، وصيانة السمع من الضجر والسآمَة، ولكن كل موضع يختص بفَوائدَ ولَطائفَ بحسب اخْتلاف محله، ونُصوصُ القرآن الكريم مَليئةٌ بأسلوب الالتفات والتنويع بينَ الضمائر الثلاثَة، لأغراض تخص دلالات النص، ويُشترَطُ في أسلوب الالْتفات - لضَمان تَماسُك النصَ وعَود آخره على أوله - أن يكونَ الضميرُ في المُنتَقَل إليه عائداً في نفس الأمر إلى المُنتقَل عنه، ويُشترَطُ أيضاً أن يَكونَ في جُملتَيْن.

وهُناكَ نوعٌ خاص من التلوين يعتمدُ على المُغايرَة والتنويع في الأسلوب؛ والمَيْل بالنصوص والأقاويل إلى جهات شَتى من المَقاصد وأنحاء شَتى من المآخذ، ويفتن الكلامُ فيها من مَذاهبَ شَتى من المعاني، وضُروب شَتى من المَباني النظمية، ويكونُ للنفس فيه استراحةٌ واسْتجْدادُ نشاط بانتقالها من لون أسلوبي إلى آخَرَ، ومن مَعْنى إلى مَعْنى آخرَ، وفي ذلك قالَ حازم القرطاجني؛ عن الشعراء: «لَما وَجَدوا النفوسَ تسأمُ التماديَ على حال واحدة، وتُؤْثرُ الانتقالَ من حال إلى حال، ووجدوها تَستريحُ

---

(١) **النبأ العَظيم**، ص: ١٤٤، هامش:١

إلى استئناف الأمر بعدَ الأمر واستجْداد الشيء بعدَ الشيء، ووجدوها تنفرُ من الشيء الذي لم يَتَناهَ في الكثرَة إذا أخذَ مأخذاً واحداً ساذجاً ولَم يتحيلْ فيما يسْتَجد نشاطَ النفس لقَبوله بتَنْويعه والافْتنان في أنحاء الاعتماد به، وتَسكنُ إلى الشيء وإن كانَ مُتناهياً في الكثرَة إذا أخذَ من شتى مَآخذه التي من شأنها أن يخرُجَ الكَلامُ بها في مَعاريضَ مُختلفة»[1].
ففي ذلك الخُروج بالكَلام من نَوع إلى آخَر، سَرَيانُ التلوين في النص، والوُصولُ بالكَلام إلى إيصال المَعْنى بأبلَغ لفظ.

والسؤالُ في هذا المظهر الترابُطي للنص: كيفَ «يَكونُ تنوعُ صُور التلوين»[2] في الأسلوب القُرآني طريقةً لترابُط النص وتَماسُكه ؟

والجَوابُ أن أولَ شرط لتحقيق نصية النص حُصولُ الترابُط بينَ أجزائه وجُمَله، والترابُطُ شبكةٌ كُبْرى من العَلاقات التي تشد أنواعاً مختلفةً من العَناصر، ففي النص روابطُ تصلُ مجالات الدلالات المُعجمية بعضها ببعض، ورَوابطُ منطقيةٌ تربطُ بين الجُمل.

❋ ❋ ❋

(١) حازم القرْطاجني: **منْهاجُ البُلَغاء وسراجُ الأدَباء**، تحقيق: محمد الحَبيب ابن الخوجَة، دار الغرب الإسْلامي، ١٩٨٦م، ص:٢٩٦.

(٢) طه رضوان طَه رضوان: **تَلْوينُ الخطاب في القُرآن الكَريم**، مَكتبَة الدراسات القُرآنية، نَشْر دار الصحابَة للتراث بطَنْطا، ط ١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، ص:٣٤١.

## أسلوب التلوين في دلالَة الفعل على الزمَن

في إطار بَلاغَة التنويع والتلوين في أسلوب النص القُرآني، نجدُ القرآنَ الكريمَ يعتمدُ أحياناً أسلوبَ المُغايرَة والتلوين[1] في دلالة الفعل على الزمن الواحد، نحو قوله تعالى: ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَـٰٓؤُلَآءِ وَهَـٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَـٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الإسراء: ١٨-٢١]، ووجهُ التلوين ظاهرٌ في الانتقال من صيغة مُركبَة للفعل الماضي (كانَ يُريدُ) إلى صيغة مُجردَة منه (أرادَ). وفي الآيات أيضاً تَلْوينٌ للأسْلوب بالانتقال من صيغة المُتكلم (عَجلْنا-نَشاءُ-نَريدُ-جَعَلْنا-نُمد) إلى صيغَة الغائب (عَطاء رَبكَ) ثُم العَوْدَة إلى المُتكلم (فَضلْنا). وفيها أيضاً تَلْوينٌ للأسْلوب بالانتقال من المَشيئة إلى الإرادَة وهُما فعلان مُتغايران ولكنهُما مُتقاربان. ثُم التلوينُ بينَ الجملَة الفعلية (عَجلْنا) التي تُفيدُ الحُدوثَ والعُبورَ، للتعبير عن جَزاء حُب العاجلَة، والجُملَة الاسمية (فأولئكَ كانَ سَعيُهُم مشكوراً) التي تُفيدُ الثبوتَ أي ثُبوتَ جَزاء إرادة الآخرَة.

ومما يُفيدُ التلوينَ في أسلوب الصيغ الزمنية والانتقالَ من زمن إلى آخَر: الانتقال من الماضي إلى المُضارع، نحو قوله تَعالى: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ

---

(١) طه رضوان طَه رضوان: **تَلْوينُ الخطاب في القُرآن الكَريم**، ص:٣٤٢.

أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ ﴾ [فاطر: ٩]، ففيه انتقالٌ من المُضي (أرْسَل) إلى الحال (فتُثير) ثم عَوْدٌ إلى الزمَن الماضي (فسُقْنا، فأحييْنا)، وكأن الحالَ أو الاستقْبالَ في الفعل (تُثير) لقطةٌ زمنيةٌ بين لقطتين ماضيتَيْن، تدل على حكاية الحال، ففي تلك اللقْطة الْتفاتٌ بَلاغي فَريدٌ.

جاء الفعلُ أرْسَلَ بلفظ الماضي لما أسْندَ إلى الله تَعالى؛ لأنه يُفيدُ الثبوتَ والاستمْرارَ، وما يفعله تعالى بقوله: كنْ، لا يَبقى زَماناً ولا جُزْءَ زَمان، فلَمْ يأت بلَفظ المستقبل لوُجوب وُقوعه وسُرعة كَونه، ولأنه فَرغَ من كُل شَيء، فهو قَدرَ الإرسالَ في الأوقات المعلومَة وإلى المواضع المعينة، ولما أسنَدَ الإثارَةَ إلى الريح، وهي تُؤلفُ في زَمان، قال: «فَتُثيرُ»، وأسْنَدَ «أرْسَلَ» إلى الغائب، وأسْنَدَ «فسُقناه»، و«فأحيينا» إلى المتكَلم.

ومن التلوين الانتقالُ من اسم يُقدرُ أنه معمول فعل مُضمر، إلى اسم ليسَ كذلكَ؛ نحو قوله تَعالى: ﴿ وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ ﴿٦٩﴾ ﴾ [هود: ٦٩]؛ فانتقَلَ من اسم مَنصوب (سَلاماً) إلى اسم مَرفوع (سَلام) لأن المنصوبَ إنما يَكونُ على إرادة الفعل الناصب، أي سَلمْنا سَلاماً، وذلكَ يُؤذنُ بحدوث التسليم منهُم، أما سَلامُ إبراهيمَ فإنه اسمٌ مرتفعٌ بالابتداء، فاقتَضى الثبوتَ على الإطْلاق، فسَلامُ الخَليل أبلَغُ من سَلامهم، وكأنه قصَدَ أن يُحييَهُم بأحسنَ مما حَيوه به[1].

(١) ذكَرَه السيوطي في: **الإتْقان في عُلوم القُرآن**، ج:١، ص: ٦٣٣...

## ١٤- من أدوات القُرآن الكَريم الرابطَة لأجزاء النص: الضمير ووظيفَة الربط:

من وَظائف الضمير في اللغة العربية الاخْتصارُ، لأنه يقومُ مَقامَ الظاهر ويُغْني عن تَكْراره، ومن وَظائفه الربطُ ووَصلُ الجُمل بعضها ببعض، ومن وظائفه أيضاً الإحالَةُ عَلى سابق؛ وهي عودُه على مُتقدم بما يُغْني عن ذكْره وبما يَربطُ آخرَ الكَلام بأوله.

هذا، ولابُد للضمير من مرجع يَعودُ إليه، ويكونُ المَرْجعُ إما مَلفوظاً به سابقاً مُطابقاً لَه، نحو قَوله تَعالى: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ ﴾ [هود: ٤٢]، ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾ [طه: ١٢١]، أو مُتضمناً لَه، نحو: ﴿ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ ﴾ [المائدة: ٨]، فإن الفعلَ "اعْدلوا" يتضمنُ الاسْمَ المَرْجعَ وهو "العَدْل"، أو دالا عليْه بالالْتزام نحو: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١ ﴾ [القدر: ١]؛ أي القرآن، فإن الإنزالَ يدل عليه الْتزاماً، أو متأخراً لفظاً لا رُتبةً نحو: ﴿ فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ٦٧ ﴾ [طه: ٦٧] ، ﴿ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴾ [القصص: ٧٨]، أو متأخراً دالا بالالْتزام: ﴿ فَلَوۡلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلۡحُلۡقُومَ ٨٣ ﴾ [الواقعة: ٨٣]، فقَد أضْمرَت الروحُ لدَلالة الحُلقوم عليْها. وقَد يدل السياقُ على الاسْم الذي يَرجعُ إليه الضميرُ، فيُضمَر ثقةً بفهم السامع وعلْمه، نحو قوله تَعالى: ﴿ كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ٢٦ ﴾ [الرحمن: ٢٦] ، وقَد يَعودُ الضميرُ على لفظ المذكور دونَ مَعْناه: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ جَعَلَكُمۡ أَزۡوَٰجٗاۚ وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ١١ ﴾ [فاطر: ١١]؛ أي لا يُنقَصُ من عُمُر مُعمر آخَر[(١)].

(١) السيوطي: **الإتْقان**، ج:١، ص: ٥٩٧-٥٩٩

والأصلُ في الضمير عَوْدُه عَلى أقرب مَذكور، نحو: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ [الأنعام: ١١٢] ، فلكَيْ يَعودَ الضميرُ على أقرب مَذْكور في الآيَة أُخرَ المَفْعولُ الأولُ وهو الشياطين، ليَعودُ الضميرُ عليْه لقُربه، أما إن كانَ مرجعُ الضمير هو المُضافَ عادَ عليْه الضميرُ وإن حالَ بينهُما المُضافُ إليه، نحْو قوله تَعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [النحل: ١٨].

والأصلُ في الضمائر أيضاً تَوافُقُها في المَرجع حَذَرَ التشتيت، نحو قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ ﴾ [طه: ٣٧-٣٩] فالضمائرُ كلها راجعةٌ إلى موسى، ولا يصح أن يرْجعَ بعضُها إلى موسى وبعضُها إلى التابوت لما في ذلك من هجْنة التشتيت وتَنافُر النظم(١).

ومثْلُ ذلك قولُه تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ ﴾ [الفتح: ٨-٩]، فالضمائرُ في (رَسُوله وتُعَزروهُ وتُوَقروهُ وتُسَبحوهُ) لله تَعالى، والمُرادُ بتَعْزيره تَعزيزُ دينه ورَسوله، «ومَن فَرقَ الضمائرَ فقد أبْعَدَ»(٢).

وقَد يأتي من الضمائر ما تختلفُ مَراجعُه، كما في قوله تَعالى: ﴿ قُل

(١) وهذا ما رَد به السيوطي على الزمخشري. انظُرْ **الإتْقان**: ج:١، ص:٦٠٠.

(٢) السيوطي: **الإتْقان**، ج:١، ص: ٦٠١.

رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٢٢]؛ فإن الضميرَ في الجار والمَجْرور (فيهم) لأصحاب الكَهف، والضمير في الجار والمَجْرور (منْهُم) لليَهود[١].

ومن قَواعد عَود الضمير، أنه إذا اجتَمَعَ في الضمائر مُراعاةُ اللفظ والمَعْنى، بُدئَ باللفظ ثم بالمَعْنى، نحو قوله تَعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [البقرة: ٨]؛ أفْردَ أولاً (مَن يَقول)، باعْتبار اللفظ، ثُم جَمَعَ (وما هُم بمؤمنينَ) باعْتبار مَعْنى الكَلام، ومثلُه: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ [الأنعام: ٢٥]، ومثلُه: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ﴾ [محمد: ١٦]. ومثلُه: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الزمر: ٣٣].

ويبدو أن الحَملَ على اللفظ يكونُ أولاً ثُم يأتي بعدَه الحملُ على المَعْنى، وهو أقْوى، والجمعُ بينَ الجهتَيْن يُثبتُ لنا أن النص الواحدَ تترابطُ أجْزاؤُه لفظاً ومَعْنى، أو يُزاوَجُ بين اللفظ والمَعْنى، فيُبدأ بالحَمْل على اللفظ ثم يُثنى بالحَمل على المَعْنى. وقَلما يُبدأ بالحمل على المَعْنى ثم يُثنى باللفظ؛ فقَد ذَهبَ بعضُ النحْويينَ إلى أنه إذا حُمل على معنى الجمع لا يجوزُ الرجوعُ إلى لفظ الواحد، واعْتُرضَ عليْه بأنه وردَ في القُرآن الكريم ما يُفيدُ الرجوعَ من المَعْنى إلى اللفظ[٢]، من ذلك قولُه

(١) ذَكَره أبو العَباس ثعْلبٌ والمُبردُ، انظُرْ: السيوطي، **الإتْقان**، ج:١، ص: ٦٠١.

(٢) في ما ذكَرَه محمودُ بن حمزة، أبو القاسم الكرماني (ت.٥٠٥هـ)، في كتابه: **غَرائب**

==

تَعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [النساء: ١٣]، وكذلكَ قوله تَعالى: ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ [الطلاق: ١١]، فقَد أفْرَدَ في (ومن يطع الله، ومَن يؤْمنْ) وجَمَعَ في (خالدينَ فيها)، فرَجَعَ بعْدَ الجَمْع إلى الإفْراد. وهذا التنويعُ في الحَمْل على اللفظ أو المَعْنى من بَلاغَة القُرآن الكَريم ومن مَظاهر تَماسُك نصه وانْسجامه.

* * *

## ١٥- نَموذجٌ تَطبيقي للانْسجام والتماسُك في النسَق القُرآني: سورةُ البَقَرة أنموذجًا، عَلى تماسُك البُنيان وإحكامه[1]:

وهو أنموذجٌ من السوَر المتجمعة التي الْتَأمَتْ منها سلسلةٌ واحدةٌ من الفكَر تَتلاحقُ فيها الفصولُ والحلقاتُ، ونَسقٌ واحدٌ من البَيان تَتعانقُ فيه الجُملُ والكَلماتُ، فقد جَمَعت السورةُ بضعًا وثمانينَ ومائتي آية، واشتمَلَتْ منْ أسباب نُزولها نيفًا وثمانين نجمًا، وكانَت الفَتراتُ بينَ نُجومها تسعَ سنينَ عَدداً. ففيها ذكرُ تحويل القبلة، وذكْرُ صيام رَمضانَ، وذكْرُ أول قتال وقعَ في الإسلام فنزَلَ بسبَبه قولُه تَعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ ﴾ [البقرة: ٢١٧]، وكل أولئكَ كانَ نُزولهن في أوائل السنة الثانية

==

**التفْسير وعَجائب التأويل**، (نشردار القبلة للثقافَة الإسْلامية، جدة، مُؤسسَة عُلوم القُرآن، بَيروت)، تَفْسير سورَة البَقَرَة: ج:١، ص:١٢٠

(١) مُستَفادٌ من كتاب **النبأ العَظيم**، ص: ١٥٧ وما بعدَها...

من الهجْرة. وفيها تلكَ الآيةُ الخاتمةُ التي نَزَلتْ في آخر السنة العاشرة من الهجرة، وهي آخرُ آية منَ القُرآن: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢٨١]، وفيها ما بَينَ ذلكَ.

وتشتركُ السورةُ وباقي سُور القُرآن كله في الاشتمال عَلى جُملة الوَشائج اللفظية والمعنوية التي تَربطُ أجزاءَ السورة الكَريمة بَعضها ببَعْض، وفي كل قطعة منْ قطَع السور أسبابٌ ممدودةٌ، في شَبكة من العَلائق المُحكَمَة النسْج.

ولسورة البَقَرَة خط سَير إلى غايَة، ووَحدةُ نظام مَعنوي في جملتها، تدل عليْه ما يُوافقُها من نظام لفظي مُوزع في سلسلة ذات حَلقات. ولا يُتصورُ النسَقُ العام للسورَة إلا بإحكام النظر في السورة كُلها أولاً، قبلَ البحث عن الصلات الموضعية بين الجُزْء والجُزء، وهي تلكَ الصلاتُ المبثوثةُ في مثاني الآيات ومَقاطعها، فَلا بد أن يُحْكَمَ النظرُ في السورة كُلها بإحصاء أجْزائها وضَبط مَقاصدها على وجه يكون عَوْناً على السير في تلكَ التفاصيل على بَينة؛ فالسورةُ مهما تتعَددْ قَضاياها فهي كَلامٌ واحدٌ يَتعلقُ آخرُه بأوله، وأولُه بآخره، ويَترامى بجملته إلى غَرض واحد، كما تتعلق الجمل بعضها ببعض في القضية الواحدة. وإنه لا غنى لتفهم نظم السورة عن استيفاء النظر في جميعها، كما لا غنى عَن ذلكَ في أجْزاء القَضية.

ويضربُ الإمامُ الشاطبي[١] لذلكَ أمثلةً منْ بَعض السوَر، منها سورةُ

(١) أبو إسحاق الشاطبي: **المُوافَقات في أصول الشريعَة**، ضبط: محمد عبد الله دراز، ط. دار المعرفَة، بيروت ج:٣، ص:٤١٥-٤١٦.

البَقَرة، فَهيَ كَلامٌ واحدٌ باعْتبار النظْم، واحْتَوتْ عَلى أنْواع منَ الكَلام بحسب ما بث فيها، منْها ما هُوَ كَالمقدمات والتمهيدات بَينَ يَدي الأمْر المطْلوب، ومنْها ما هو كالمُؤكد والمُتَمم، ومنْها ما هو المَقْصودُ في الإنْزال، وذلكَ تَقريرُ الأحْكام عَلى تَفاصيل الأبْواب، ومنْها الخَواتمُ العائدَةُ عَلى ما قَبلَها بالتأكيد والتثبيت وما أشْبَه ذلكَ.

والمثالُ عَلى ما تَقدمَ قولُه تَعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٣] إلى قَوله تَعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٧]، فهذا كَلامٌ واحدٌ، وإنْ نَزلَ في أوْقات شَتى، وحاصلُه بيانُ الصيام وأحْكامه وكيفية آدابه وقَضائه وسائر ما يَتعلقُ به منَ الجلائل التي لا بُد منْها ولا ينبنى إلا عَليها. ثم جاءَ قولُه: ﴿ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ ﴾ [البقرة: ١٨٨] الآية، كلاماً آخرَ بَينَ أحْكاماً أُخرَ.

وقولُه: ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ قُلۡ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلۡحَجِّۗ ﴾ [البقرة: ١٨٩] ، وانْتَهى الكَلامُ -عَلى قَول طائفة- وعنْدَ أخْرى أن قولَه ﴿ وَلَيۡسَ ٱلۡبِرُّ بِأَن تَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا ﴾ [البقرة: ١٨٩] الآية، من تَمام مسألة الأهلة، وإن انجَر مَعَه شيءٌ آخَر. وقَولُه تَعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ﴿١﴾ ﴾ [الكوثر: ١] نازلةٌ في قَضية واحدَة.

وسورَةُ "اقْرَأ" نازلةٌ في قَضيتَين: الأولى إلى قوله: ﴿ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴿٥﴾ ﴾ [العلق: ٥] والأخْرى ما بَقيَ إلى آخر السورَة.

وسورَةُ "المؤمنينَ" نازلةٌ في قَضية واحدَة وإن اشْتَمَلتْ عَلى مَعان كَثيرة فإنها منَ المكيات وغالبُ المكي أنه مُقَررٌ لثَلاثة مَعان أصلُها مَعنىً

واحدٌ وهو الدعاءُ إلى عبادة الله تَعالى. وما ظَهرَ ببادي الرأي خُروجُه عَنها فَراجعٌ إليها في مَحصول الأمر. ويتبعُ ذلك الترغيبُ والترهيبُ والأمْثالُ والقصَصُ وذكْرُ الجنة والنار ووَصفُ يَوم القيامة وأشْباهُ ذلكَ.

فَمنَ الخطأ البحثُ في تلكَ الصلات الجزئية مَعَ غَض النظر عن النظام الكُلي الذي وَقعتْ عَليه السورةُ، ففي هذا الغَض جَورٌ عَن القَصد، وإغفالٌ لنَواحي الجَمال في النظم، وإغْفالٌ لحُسن التشاكُل بَين الجُملة والجُملة.

## ومن مَزايا القُرآن الكَريم النظْمية في سورَة البقَرة:

## حُسْنُ التأليف بَينَ المُخْتلفات:

ذَكرَ الباقلاني أن نظمَ القُرآن العَجيبَ وتأليفَه البَديعَ «لا يَتفاوتُ ولا يَتَباينُ، على ما يتصرفُ إليه من الوُجوه التي يَتصرفُ فيها، منْ طكْر قصَص ومَواعظَ واحتجاج، وحكم وأحكام، وإعْذار وإنْذار، ووعْد ووعيد، وتَبْشير وتخويف، وأوصاف... وغيْر ذلكَ من الوُجوه التي يَشتملُ عليْها. ونجدُ كلامَ البَليغ والشاعر المُفلق، والخَطيب المصْقَع، يختلفُ على حَسب اختلاف هذه الأمور... وإذا تأملتَ شعرَ الشاعر البَليغ، رأيتَ التفاوُتَ في شعْره على حسَب الأحوال التي يتصرفُ فيها، فيأتي بالغاية في البَراعَة في مَعْنىً، فإذا جاءَ إلى غيْره قَصرَ عنه، ووقفَ دونَه، وبانَ الاختلافُ في شعْره... ثُم نجدُ من الشعراء مَن يُجودُ في الرجَز، ولا يُمكنُه نظمُ القَصيد أصلاً، ومنهُم مَن ينظمُ القَصيدَ، ولكن يُقَصرُ تَقصيراً عَجيباً، ويقَعُ ذلك من رَجَزه موقعاً بَعيداً... ومن الناس مَن يُجودُ في الكَلام المُرسَل، فإذا أتى بالمَوْزون قَصرَ ونَقَصَ نُقصاناً بيناً...

وقد تأملْنا نظمَ القُرآن، فوَجَدْنا جَميعَ ما يتصرفُ فيه من الوُجوه على حَد واحد، في حُسن النظم وبَديع التأليف والرصف، لا تَفاوُتَ فيه ولا انحطاطَ عن المنزلة العُلْيا، ولا إسْفافَ فيه إلى الرتبَة الدنيا.

وكذلكَ قد تأملْنا ما يتصرفُ إليه وُجوه الخطاب، من الآيات الطويلة والقَصيرة، فرأيْنا الإعْجازَ فيها على حد واحد لا يختلفُ.

وكذلك قد يَتفاوتُ كَلامُ الناس عندَ إعادة ذكر القصة الواحدة، فرأيناه غيرَ مُختلف ولا مُتفاوت، بَل هو عَلى نهاية البَلاغة وغاية البَراعة، فَعلمْنا بذلكَ أنه مما لا يقدرُ عليْه البَشَرُ؛ لأن الذي يَقدرونَ عليْه قد بَينا فيه التفاوُتَ الكَثيرَ، عندَ التكْرار وعند تَبايُن الوُجوه...»[1].

لَقَد ألفَ القُرآنُ الكَريمُ كثيراً بينَ المَعاني المُختَلفَة في السورَة الواحدَة، وألقى بيْنَها تَداعياً معْنوياً ونَظمياً، ولَمْ يكُن يَسترْسلُ في الحَديث عَن الجنْس الواحد اسْترسالاً يَبعثُ عَلى المَلَل، ولَم يكُن يَنتَقلُ من مَعْنىً إلى آخَرَ انتقالاً يُخرجُه إلى حَد المُفارَقات التي تَجْمعُ أشتاتاً من غيْر نظام. فَلَم يكُن يَدَعُ الأجناسَ المختلفةَ والأضدادَ المُتباعدَةَ حَتى يُجاورَ بيْنَها ويُبرزَها في صورَة مُؤتَلفَة، وحتى يجعلَ من اختلافها نَفسه قوامًا لائْتلافها؛ فَتقويمُ النسَق وتَعديلُ المزاج بين الألوان والعناصر المُختلفة أشد عناءً من تَعديل أجزاء العُنصُر الواحد.

فالعبْرَةُ في ذلك كله: النظرُ إلى النظام المجْموع والسلْك العام

(١) أبو بَكر الباقلاني **إعْجاز القُرآن**، تحقيق السيد أحمد صَقر، سلسلَة ذَخائر العرب (١٢)، دار المَعارف، مصر، ص: ٥٤-٥٦

المُنتَظم. وقد ضَربَ الأستاذُ محمد بن عَبد الله دَراز، رَحمَه الله، مثلاً بسورة البقَرَة، فهيَ سورةٌ عَلى طولها تَتألفُ وحْدتُها منْ مُقدمة، وأربَعة مَقاصدَ، وخاتمة. فأما "المقدمةُ" فَفي التعريف بشأن القرآن الكَريم، وبَيان أن ما فيه منَ الهدايَة قدْ بَلغَ حَدا منَ الوُضوح لا يَترددُ فيه ذو قَلب سَليم. وإنما يُعرضُ عَنه مَن لا قَلبَ لَه، أو مَن كانَ في قَلبه مَرضٌ.

وأما "المَقصدُ الأولُ" فَفي دَعوة الناس كافةً إلى اعْتناق الإسْلام.

وأما "المقصدُ الثاني" فَفي دَعوة أهْل الكتاب دَعوةً خاصةً إلى تَرك باطلهمْ والدخول في هذا الدين الحَق.

وأما "المقْصدُ الثالثُ" فَفي عَرْض شَرائع هذا الدين تَفْصيلاً.

وأما "المقصدُ الرابعُ" ففيه ذكْرُ الوازع والنازع الديني الذي يَبعثُ عَلى مُلازَمة تلكَ الشرائع ويَنهى عَن مُخالَفَتها.

وأما خاتمةُ السورة فَفي التعريف بالذينَ اسْتجابوا لهذه الدعوة الشاملَة لتلكَ المقاصد وبَيان ما يُرجَى لهمْ في آجلهمْ وعاجلهمْ[1].

هذه السورةُ تشتملُ على مُقدمَة ومَقاصدَ واختتام، مثْلَما تشتملُ باقي السوَر على البناء، ولا شك أن أهم ما يَطبعُ النص القُرآني عُنصرُ الاكتمال، آيةً كانَ أم سورةً، وهذا ما يُعبرُ عنه في لسانيات النص بعُنصر الاخْتتام (Clôture)، والنص الذي لا يُختَمُ بخاتمة يفقدُ اتساقَه وغائيتَه. اكْتمالُ

(١) وقَد بَسَطَ صاحبُ "**النبأ العَظيم**" بَيانَ نظام عقْدَ المَعاني في سورة البَقَرَة، في سبع وأربَعينَ صفحةً: من ص:١٦٣ إلى ص:٢١٠

النص، مقومٌ من مقومات النصية، وليسَ طولُ النص أو حَجمُه أو أبعادُه معْياراً[1].

❋ ❋ ❋

وما يُقالُ في سورة البَقَرة يُقالُ في كل سورة من سُور القُرآن الكَريم، فلكل سورة وحدةٌ موضوعيةٌ تشد أجزاءَ السورة وتربطُ آياتها ومَعانيَ جُملها، وما اشتمَلَت عليْه السورةُ من مَعان جزئية إنما هو مشتق من الموضوع الكلي للسورة أو موصولٌ به بوجه من الوُجوه[2].

وآخرُ دَعْوانا أن الحمْد لله رَب العالَمين، وصلى الله على محمد وآله وصحْبه، وسلمَ تسْليماً

❋ ❋ ❋

(١) صَلاح فَضل: **بَلاغَة الخطاب وعلْم النص**، ص: ٢٩٨، وانظر: محمد الأخضر الصبيحي: **مَدخل إلى علْم النص**، ص:٨٤.
(٢) **قَواعد التدبر الأمثَل**، ص:٢٧.

## لائحَة المَصادر والمَراجع

ابنُ جني (أبو الفَتح): المُحْتَسَبُ في تَبيين وُجوه شواذ القراءات والإيضاح عَنْها، تَحقيق: علي النجدي ناصف وعبد الفَتاح إسْماعيل شَلَبي، لجنة إحْياء التراث الإسْلامي، القاهرَة، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م

ابنُ خَلْدون (عبد الرحمن): مُقدمَة ابن خَلْدون، دار الكُتُب العلمبية، بيروت، ٢٠٠٢م.

ابْن الجَوْزي (عَبد الرحمن): زادُ المَسير في علْم التفْسير، تحقيق أحمد شَمْس الدين، دار الكُتُب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م

ابنُ قيم الجوزية: مَدارج السالكينَ بينَ مَنازل إياكَ نَعبدُ وإياكَ نَستعينُ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م

ابن كثير (أبو الفداء إسماعيلُ بنُ عُمَرَ): تَفسير القُرآن العَظيم، تَحقيق: سامي بن محمد سلامة، نشر دار طيبة للنشر والتوزيع، ط.٢، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

ابن مَعْصوم المَدَني (علي صدر الدين) (ت١١٢٠ هـ): أنوار الربيع في أنواع البَديع،، تحقيق شاكر هادي شكر، مط. النعمان، النجف الأشرَف، ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م

ابن هشام الأنصاري: مُغْني اللبيب عَن كتُب الأعاريب، تحقيق عَبْد اللطيف محمد الخَطيب، نَشر المجلس الوطني للثقافَة والفنون والآداب، السلسلة التراثية، ط ١، الكُويْت، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م

أبو موسى (محمد محمد): قراءَة في الأدب القَديم، نَشر مَكْتَبَة وَهْبَة، القاهرَة، ط.٣، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

الباقلاني (أبو بَكر): إعْجاز القُرآن،، تحقيق السيد أحمد صَقر، سلسلَة ذَخائر العرب (١٢)، دار المَعارف، مصر

البقاعي (إبراهيم بن أبي بَكر): نظمُ الدرَر في تَناسُب الآيات والسوَر، تحقيق: عَبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ

بوجْرانْد (روبرْت دي)، النص والخطابُ والإجْراء، ترجمَة تَمام حَسان، عالَم الكُتُب، القاهرَة، ط.٢، ٢٠٠٧م

تاج الدين (المصطفى): التحليل اللساني وعَالَمية القيم الدينية، مجلة الإحياء، الرابطة المحمدية للعُلَماء، ع:٣٢-٣٣، رمضان ١٤٣١هـ/ غشت ٢٠١٠م

الجاحظ (أبو عُثمان):

- البَيان والتبيين، تحقيق عبد السلام مُحمد هارون، مط. المَدَني، القاهرَة، نَشر مَكْتَبَة الخانجي، القاهرَة، ط.٧، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م
- كتاب العُثمانية، تحقيق عبد السلام مُحمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ / ١٩٩١م

الجاسم (محمود حسَن): مَفْهوم النص في العربية بينَ القَديم والحَديث، مجلة جذور، النادي الأدبي الثقافي بجدة، ع:٣١، جمادى الأولى ١٤٣٢هـ/أبريل ٢٠١٠م

الجُرجاني (عبد القاهر): دَلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة

حازم القرطاجني: منْهاج البُلَغاء وسراج الأدباء، تَحقيق محمد الحَبيب ابن الخوجَة، دار الغرب الإسْلامي، بيروت.

حبنكَة الميْداني (عَبْد الرحمن حَسَن): قَواعد التدبر الأمثَل لكتاب الله عز وجل، دار القَلَم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط.٤، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩ م

حَسان (تمام):

- البَيان في رَوائع القُرآن، مَنشورات عالَم الكتُب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٣م،
- مَفاهيمُ ومَواقفُ في اللغة والقُرآن، عالَم الكُتُب، القاهرَة، ط ١، ٢٠١٠

دراز (محمد عبْد الله): النبأ العَظيم، نَظرات جَديدَة في القُرآن، دار الثقافَة-الدوحَة-قَطَر، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م

الرافعي (مصطفى صادق): إعجازُ القُرآن والبَلاغَةُ النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، ط.٨، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م

سليم (عبد الإله): بنْيات المُشابَهة في اللغة العربية، مُقاربَةٌ معرفية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط ١، ٢٠٠١

السمينُ الحَلَبي (أحمَد بن يوسُفَ): الدر المَصون في عُلوم الكتاب المكْنون، تحقيق أحمَد محمد الخراط، دار القَلَم، دمَشق، ١٩٩٤م.

السيف (خالد بن عبدالعزيز): ظاهرة التأويل الحديثة في الفكر العربي المعاصر-دراسة نقدية إسلامية، نشر: مركز التأصيل للدراسات والبحوث، ط ١، ١٤٣١ هـ/٢٠١٠م

السيوطي (جَلال الدين):

- مُعْترَك الأقران في إعجاز القُرآن، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكُتُب العلمية، بيروت.
- الإتْقان: تحقيق مُصطفى ديب البُغا، دار ابن كثير، دمشق/بيروت، ط.٢، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م

الشاطبي (أبو إسحاق): المُوافَقات في أصول الشريعَة، ضبط: محمد عبد الله دراز، ط. دار المعرفَة، بيروت.

الصبيحي (محمد الأخضر): مَدخل إلى علْم النص، الدار العربية للعُلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، بيروت، ط ١، ٢٠٠٨م،

طه رضوان طَه رضوان: تَلْوينُ الخطاب في القُرآن الكَريم، مَكتبَة الدراسات القُرآنية، نَشْر دار الصحابَة للتراث بطَنْطا، ط ١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م

عبد الفَتاح أحْمَد يوسُف، لسانياتُ الخطاب وأنْساق الثقافَة، الدار العربية للعُلوم ناشرون بيروت، مَنْشورات الاخْتلاف الجَزائر، ط ١، ١٤٣١هـ -٢٠١٠م

العَبْدَلي (خُلود شاكر فهيد): "المَوْصول لَفْظاً المَفْصول مَعْنى"، في القُرآن الكَريم، من أول سورة يس إلى آخر القُرآن الكَريم، جَمْعاً ودراسَةً، نَشر: مَرْكز "تَفْسير" للدراسات القُرآنية، الرياض، ١٤٣١هـ..

العلواني (طه جابر): الوحدة البنائية للقُرآن المَجيد،، سلسلة دراسات قُرآنية (٣)، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط ١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م

العُمَري (محمد): البَلاغةُ العربيةُ، أصولُها وامْتداداتُها، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط ١، ١٩٩٩م.

الغَذامي (عَبْد الله)، تَشْريح النص، مُقارِبَة تَشْريحية لنُصوص شعْرية مُعاصرة، المَرْكَز الثقافي العربي، ط.٢، ٢٠٠٦م

فضل (صلاح): بَلاغة الخطاب وعلم النص، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالَمية للنش-لونجمان، ط ١، ١٩٩٦م

الفيْروزابادي (مجد الدين): بَصائر ذَوي التمييز في لَطائف الكتاب العَزيز، تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت القرْطاجني (حازم): منْهاجُ البُلَغاء وسراجُ الأدَباء، تحقيق: محمد الحَبيب ابن الخوجَة، دار الغرب الإسْلامي، ١٩٨٦م

الكرماني (محمودُ بن حمزة، أبو القاسم) (ت.٥٠٥هـ): غَرائب التفْسير وعَجائب التأويل، نشردار القبلة للثقافَة الإسْلامية، جدة، مُؤسسَة عُلوم القُرآن، بَيروت.

المتوكل (أحمد): الخطاب وخَصائص اللغَة العربية، دراسَة في الوَظيفَة والبنية والنمَط، الدار العربية للعُلوم ناشرون لبنان، منشورات الاختلاف الجزائر، دار الأمان الرباط، ط١، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م

الميداني (أبو الفَضْل النيسابوري): مَجْمَع الأمثال، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، نشر دار المعرفة، بيروت.


مركز تفسير للدراسات القرآنية
Tafsir Center for Qur'anic Studies

جامعة الملك سعود
King Saud University

كرسي القرآن الكريم وعلومه
Chair of Qur'anic Sciences